

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٦٧ شعبان ١٤٣٨هـ

اليقظة والتكامل قاربا النهضة لأمتنا

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٧)
شعبان - ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net





اليقظة والتكامل قاربا النهضة لأمتنا

تمر أمتنا بمرحلة صعبة تشهد فيها عدد من دولها حروبا طاحنة من جهات متعددة، فاليهود لم يتوقف عدوانهم على فلسطين، أرضا وشعبا، رغم اتفاق السلام الموقع معهم، بل إنهم تمكنوا بهذا السلام من التوسع والعدوان أضعافا مضاعفة، حتى غدت الضفة الغربية بيدهم تقريباً، وأصبحت اعتداءاتهم على المسجد الأقصى شبه يومية ووصلوا لمناطق ما كانوا يصلون لها من قبل.

أما ملالي طهران فقد جاهروا بوقاحتهم المعهودة بأنهم احتلوا أربع عواصم عربية، وقد عاثوا ووكلاؤهم في هذه البلاد بالفساد طولا وعرضا، فسرقوا الأموال والخيرات والبيوت ودمروا البنية التحتية وهجّروا ملايين الأبرياء من مساكنهم وقتلوا ما يزيد عن مليون شخص، ولا يزالون ماضين في افسادهم.

أما روسيا فهي قد دكّت الشيشان من قبل واليوم تدك في سوريا، وهي ماضية في تكرار تجربة الشيشان بسوريا من خلال سرقة أحد الثوار وجعله قائدا لسوريا بشرط أن يكون ذيلا لها كحال قديروف!

أما أمريكا فهي تحتل أفغانستان وتعود للعراق وسوريا بعد أن تفرجت على مأساتهم عدة سنوات وسمحت لإيران وروسيا بتهديم مدن السنة وقتل أهلها لتمرير مخططاتها التي لم تستقر بعد، فمنذ الفوضى الخلاقة إلى الشرق الأوسط الكبير إلى الشرق الأوسط الجديد والحبل على الجرار.

وهناك مأساة بورما وعدوان البوذيين الاشتراكيين على المسلمين، وهناك أفريقيا الوسطى حيث تقوم عصابات النصارى المتطرفين بقتل المسلمين وتهجيرهم، وغيرها وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الدول التي نجت من العدوان الخارجي فلم ينفكوا عن تدبير الدسائس لها من الداخل، فتارة عبر أحزاب المعارضة، وتارة عبر القوميات والأقليات، ومرة عبر اختراق بعض الجماعات الإسلامية، وتارة بهجمة إعلامية خارجية، وبالانقلابات حينا، حتى حولوا سياسة (صفر مشاكل) التركية مع جيرانها إلى افتعال عشرات المشاكل لها لتحطيمها وتركيعها من جديد، وعلى غرارها ماليزيا وأندونيسيا.

والدول التي نجت من غالب ذلك سرعان ما تم إحداث الوقيعة بينها، فبينما ترى بعض الدول تشترك في التصدي لعدوان معين سرعان ما تتضارب مصالحها في قضية أخرى فتتفرق كلمتها، حتى أصبح من الصعب أن تجد بلدين مسلمين تتطابق غالب سياستهما ومصالحهما، وبالتالي تتشتت قوتهم وتذهب ريحهم، ويصعب عليهم قطف الثمار!

ويوازي هذا العدوان البربري الغاشم عدوان فكري وإعلامي هابط يستهدف دين الأمة، فجيوش المبشرين من الشيعة والنصارى والعلمانيين والملحدين واليساريين تغزو شباب الأمة لحرف عقيدتها ودينها، ومن لم يكن من أهل الدين سلطوا عليه الشهوات المسعورة من الإباحية والمخدرات والمتع الرخيصة.

ومن نجا من هذه الوباءات والطواعين استهدفوه بمنابر الضلال ممّن يتزيّا بزي المسلمين كالعمة واللحية ويتحدث بالقرآن والسنة أو يخطب من على منابر المساجد ليشيع بين المسلمين العقائد الباطلة والمفاهيم المغلوطة من أمثال عدنان إبراهيم وعلي الكيالي وعدنان الرفاعي ومن لفّ لفّهم.

ومما سلطه الأعداء على الأمة فكر الخوارج وجماعات التكفير والإرهاب، فبعد أن احتضنت إيران والغرب، وخاصة لندستان، قادة ومنظري القاعدة والعنف والتكفير لسنوات طويلة، أصبح كلاب الغرب وأذنابهم في بلادنا يحاربون الإسلام جهرة باسم محاربة فكر الإرهاب الذي نما في مزرعة حرية التعبير الغربية، وعندها فهمنا لماذا أنفق الغرب ولا يزال ينفق على هؤلاء الإرهابيين أموال الضمان الاجتماعي شهريا!!

حيث قامت القاعدة وابنتها العاقة (داعش) بالكثير من الخدمات لأعداء الأمة بزعزعة الأمن الداخلي عبر التفجيرات والاغتيالات، ودمّرت البلاد وخربتها كالصومال وأفغانستان، وآذت العباد والأبرياء كما في

سوريا والعراق، وضربت أمن وسلامة الدعوة الإسلامية في العالم كله، ثم حاربت المخلصين والشرفاء من العلماء والدعاة والمجاهدين والثوار باسم محاربة المرتدين وتطبيق الشريعة!

إن هذا الحال الصعب والمركب والذي تحفّه الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الداخلية مع الصراع الهائج بين السلطة والمعارضة هو مما يزيد الأمر بؤساً وشقاءً.

وفي كثير من البلاد يساهم غياب أو قصور دور القيادة الرسمية أو الشعبية في توعية الناس بمصالحهم ومصالح أمتهم الحقيقية في تضارب أمزجة الناس وتصادم جهودهم، مما يزيد الطينة بلة بسبب غياب الوعي عن تلك القيادات أصلا أو بحثها عن مصالحها الخاصة أو قصيرة المدى.

وفي خضم هذه التحديات والواقع المعقد لا بد للمسلم الصالح من أن يكون ذا موقف سليم وصحيح يرضي به ربه ويخدم نفسه وأمته حتى لو كان التيار الغالب لا يدرك الحقيقة ولا يرى الصراط المستقيم.

فالواجب على المسلم الصالح أن يكون يقظاً منتبهاً لمصلحة الدين، التي هي مصلحته الشخصية ومصلحة المجتمع والدولة، فلا ينخدع بمشاريع العدوان العسكرية والسلمية والفكرية والإعلامية على بلاد المسلمين، بل ينتبه لمكايدها وشرورها.

فلا ينخدع بدعايات اليهود ولا الروس ولا الإيرانيين والأمريكيين، فهم لا يبحثون إلا عن مصالحهم على حساب مصالحنا، ولكن بسبب تعقد الأوضاع وضعف دول الإسلام فإنه قد يضطر المسلمون لبعض المهادنات والمساومات لتقليل الخسائر أو تفتيت صف الأعداء، ولنا في تفكير النبي ﷺ عندما عرض على اليهود يوم الأحزاب والخندق ثلث ثمار المدينة منهج وقدوة.

ولكن إذا جاز التهادن مع الأعداء سياسيا وعسكريا فإن ذلك لا يجوز على صعيد العقيدة والدين، ﴿لكم دينكم وليَ دين﴾، ومن هنا تأتي أزمة كثير من الساسة في بلادنا، الذين يخلطون بين القضيتين، ويجعلون من رفض العلماء والدعاة لكسر حواجز دين الإسلام لصالح الآخرين نوعا من التطرف والتشدد أو التخلف والرجعية، ولذلك على الساسة تقبل موقف العلماء وتطبيق نظرياتهم بالتعددية الفكرية والحرية تجاه العلماء وعدم قصرها فقط على تبرير وجود ونشوء الأفكار السيئة في مجتمعاتنا! وعلى العلماء والدعاة الثبات على موقفهم لكن مع التيقظ والوعي لعدم وقوع صدام من بعض المتهورين أو المندسين، وهم كثر في عصرنا.

ومواجهة الأفكار الضالة والمنحرفة يجب أن تكون بعلم وحكمة وعلانية وعبر السبل القانونية والرسمية، ولو أحسن العلماء والدعاة توظيف الأدوات القانونية والرسمية والتركيز على كسب الجمهور لتبنوا آراءهم ومواقفهم وحققوا الكثير من الإنجازات وقطعوا الطريق على المزاودين من الشباب المتهور والجاهل والميال للعنف، وأيضا من أصحاب الشعارات العاطفية المؤججة للشارع دون تقديم بدائل وحلول.

ومما يساعد على عبور هذه المرحلة بأقل قدر من الخسائر وأكبر قدر من المكاسب، السعي للتكامل والتكاتف على صعيد العلماء والدعاة والهيئات والمجاميع الشعبية، سواء كان ذلك تكاملا مباشرا متفقا عليه أو عبر عدم التصادم وتوزيع الأدوار والتنافس في مجالات متنوعة بدلا من التصادم في نفس المجال!

فأبواب الخير المطلوبة لنهضة الأمة كثيرة جداً ولن يطيقها فرد أو جماعة أو تيار لوحده، والساحة تسع الجميع، والإمكانيات قليلة فلماذا نتصارع؟ لماذا لا نفكر بعقلية هارون الرشيد حين قال: امطري حيث شئتِ فإن خراجك سيأتيني! ونحن كذلك، فجهد أي داعية أو عالم أو جماعة أو مؤسسة سيكون قوة لصالح الإسلام طالما أنه من أهل الحق بالجملة وليس من أهل الباطل الصرف أو من يغلب شره خيره، ولنا في سيرة العلامة ابن باز رحمه الله في التعاون مع أهل الخير عموما مثال وقدوة، ولم يمنعه ذلك من تنبيه من أخطأ منهم على خطئه بعلم ورحمة ومحبة.

كما يجب على أهل العلم والدعوة والخير تشجيع كل عمل وجهد صواب يخدم الدين والأمة مهما كان فاعله، فليس المهم أن نقوم نحن بعمل الخير بقدر ما أن المهم هو وقوع وحصول الخير، ولذلك أخبر النبي ﷺ أنه لو عُرض عليه حلف الفضول مرة أخرى في الإسلام لقبله وشارك به لأنه عمل خير وحق، وقد شكر الله عز وجل لبغي سقت كلبا وأدخلها الجنة.

ومن مجالات التكامل المطلوبة لنهضة الأمة التكامل بين العلماء وأهل الخير والجماعات الصادقة وأهل الحكم والسلطة، بالنصيحة الصادقة والتأييد للمواقف السليمة، فإن النزاع والشقاق بين أهل السلطة وأهل الدين - أفرادا وجماعات- هو غاية الأعداء، فهل نعينهم بأيدينا؟

واستئثار الساسة بالقرار أو الأموال طبيعة البشرية منذ أن خلقها الله عز وجل، والتنازع والتصارع غالبا لا يأتي بخير ويخرّب الأوضاع القائمة ويزيدها فسادا وظلما، ونحن في زمان لا نملك فيه الحصول على الحق التام، فالحكمة الحكمة بتقديم التكامل في مواقف الصواب والنصيحة في مواقف الخطأ، والثبات على الحق مع الصبر والتأني كفيل بالتغيير للأفضل غالبا بإذن الله.



أقطاب العلمانية (٣)
طارق منينة

تباشر الراصد على حلقات نشر الطبعة الجديدة من كتاب الأستاذ الباحث طارق منينة "أقطاب العلمانية"، وهو الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في المكتبة العربية قديماً، وتحوي هذه الطبعة مزيدا من الإضافات والفوائد.

الدعوة العلمانية الحديثة في مواجهة مع الإسلام

على رغم التزامات أركون المنهجية وتبنيه موقف وضع الدين في الخيال الرطب الذي هو أوسع دائرة عنده من دائرة الأسطورة والخزعبلات، إلا أن موقفه الحقيقي هو محاربة الإسلام باعتباره الأصلي والثابت والرباني الأصل، فيقول: «إن الدور الذي يلعبه «الإسلام» الأسطوري والجوهراني، والماهياتي الثابت والثبوتي في الخطاب الإسلامي المعاصر هو من القوة والهيمنة بحيث يلزم لمجابهته أن يعبئ كل الباحثين جهودهم»[1].

إن العودة للإسلام ورفض سلبيات الحضارة الغربية، يعتبرها جورج طرابيشي («عملية سلخ جلد»[2] «وعي مدمِّر» و«اللاوعي»[3]، ويقول إنها: «جائحة أيدلوجية ووباء نفسي.. يتهددنا جميعاً.. فالوباء لابد أن يتوقف عند حده، وعدواه عن الانتشار.. وهذا ما يجب أن يكون أمر اليوم على مدى السنوات القادمة في لائحة مهمات كل مثقف عربي حريص على أن تُكْتب له النجْاة»[4].

لذلك كتب طرابيشي مجموعة كتب غير علمية، نقداً لمفاهيم الإسلام ، مثل ما فعل في كتابه (المعجزة أو سبات العقل في الإسلام)، وكتابه (من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، النشأة المستأنفة)، وكتابه (الله في رحلة نجيب محفوظ)، وكتاب (مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام). فكل مثقف عربي ينتمي للعلمانية يجب- عند طرابيشي- أن يواجه الإسلام كدين وثقافة وكرؤية للوجود وللقوة والهيمنة والسيادة العليا، وهذه هي دعوة عموم العلمانيين المنحرفين.

يقول د. هاشم صالح[5] في تعريف المجتمع الإسلامي الذي يريد (هو وأركون) تغيير وجهته من الإسلام إلى العلمانية، إنه «كل مجتمع يسيطر عليه الإسلام كدين وثقافة وكرؤيا للوجود: أي

(١) المرجع السابق، ص ١٦٥.
(٢) مذبحة التراث، ص ٢٤.
(٣) المثقفون العرب والتراث، ص ١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١١، وقد ثمن طرابيشي (ص١١) موقف طه حسين الشاذ في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) من أخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وطالب بقبول دعوة طه حسين «البديعة» بزعمه بدل النكوص عنها لمدة نصف قرن حتى الآن! ثم قال إن الأمر معركة وأنه لذلك صنع كتابه (المثقفون العرب والتراث) : «وكتابنا ... لا يخفي أنه يريد نفسه عن سبق قصد وتصميم متورطاً في المعركة...» وهو يسمي الفكر الإسلامي الصحيح ظلامية، كما أنه قد حرف في كتبه التي نقد فيها حقائق القرآن وآيات الله معنى السببية في القرآن والتوفيق بينها وبين دلالة المعجزات.
(٥) مترجم كتب د. محمد أركون وصديقه الحميم!

كل مجتمع لم يدخل بعد ساحة العلمنة الحقيقية»[1]. فيجب عند د.أركون وغيره من العلمانيين المنحرفين أن تعبئ الجهود لإدخال المجتمعات الإسلامية في ساحة العلمنة الحقيقية الشاملة وليست الجزئية كما هي عليه اليوم في معظم البلاد.

وأما عزيز العظمة فينقل عنه د. المسيري قوله: «العلمانية تستند إلى النظرة العلمية بدلاً من الرؤية الدينية الخرافية في شؤون الكون والطبيعة على العموم (هل الرؤية الدينية «خرافية» بالضرورة؟!)، وتؤثر الكلام في علم الفلك على الكلام القرآني حول التكوير، والكلام في الجغرافيا الطبيعية على الكلام حول جبل قاف (هل يمكن اختزال إسهامات الجغرافيين الإسلاميين إلى هذا الحد)، والأخذ بالاعتبار العقلي بدلاً من الاعتبار الإيماني والخرافي للأمور». وهو لايقف عند هذا الحد- يقول المسيري- بل يتحدث عن «الموروث الكُتبي» و«الماضي المتقادم الزائل»[2].

يعلق المسيري: «المشكلة الحقيقية –في تصورنا- أننا إن قررنا أن نسبح مع هذا التيار العالمي الحتمي سنكتشف أنه في واقع الأمر غربي وحسب (تماماً كما بين لنا عاطف العراقي) إذ ثمة ترادف بين مفهومي العالمية والغرب في كتابات هؤلاء العلمانيين المتأرجحين فالواحد منهما هو الآخر، وهو أمر مفهوم تماماً في إطار النموذج الأحادي الإتجاه (والنماذج المادية لابد أن تكون أحادية صلبة أو ذرية...لا مركز لها) ..ولذا ينصحنا عزيز العظمة، بدلاً من أن نضيع الوقت، ونكد ونتعب، أن نوجه أنظارنا حيث نجد تطبيقاً متبلوراً للقوانين العالمية العامة الحتمية، فتبني المُثُل الغربية هو تبني المُثُل العالمية، والمثل العالمية (كما بين لنا هاشم صالح من قبل) تعني سيادة القوانين المادية الطبيعية العالمية، التي لا تعرف المكان أو الزمان أو الغائيات الإنسانية أو الخصوصيات القومية، فهي «زمانية عالمية» تحول الإنسان إلى كيان طبيعي/ مادي لا يختلف كثيراً عن الكائنات الطبيعية / المادية الأخرى»[3].

فليس الأمر، هو صراع علماني مع الخطاب الإسلامي المعاصر على المشروعية لمن هي؟ أهي للإسلام الذي يتبناه الخطاب الإسلامي أم للعلمانية التي يتبناها أهلها، إنما الأمر هو محاولة تغيير المجتمعات للعلمانية وإلحاقها بالمركزية الغربية، والعمل على إخراج المجتمعات الإسلامية وليس الخطاب الإسلامي المعاصر وحده - من الإسلام إلى العلمانية الشاملة، فالعلمانية المُرجفة تستهدف نبذ الإسلام ونقد معالمه، وتهديم معالم المجتمعات الإسلامية وطرد هويته الحضارية، ورمي الإنسان في هوة المادية والعدمية وذلك بتحويل نصوص الوحي إلى معان مادية وخرافية وأسطورية وخيالية والدعوى أن الزمن تجاوز حرفيتها وقدسيتها.

دول ورؤوساء تبنوا الحرب على الإسلام

ولقد دخلت تركيا هذه «الساحة العلمانية» بسقوط الخلافة وتولي أتاتورك زمام الأمور وحكم الجمهورية الجديدة، لكن بعنف التغيير، يقول د. أركون «راح كمال أتاتورك ينجز ثورة علمانية حقيقية في بلد كان ولا يزال متشدداً إسلامياً.. خلق جمهورية تركية على غرار النموذج الغربي وألغى التقويم الإسلامي الهجري، ثم ألغى الحروف

(١) تاريخية الفكر العربي والإسلامي ص ٣٦

(٢) العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، للمسيري، دار الشروق، ج١ ص ٩٠. وما بين القوسين من تعليق المسيري نفسه. وقد وجدت ما يشبه هذا النص الذي نقله المسيري لعزيز العظمة في كتاب العلمانية في المشرق العربي، من تحرير لؤي حسين، دار بترا، ص٩٨، فيقول: «اعتماد العلم بالتاريخ وبالجغرافيا بدلاً من الاهتمام بجبل قاف وبمعارك الجان والملائكة وتحول النار برداً وسلاماً والمشي على الماء، واتخاذ المدارس والجامعات بدلاً عن حلقات المساجد».

(٣) العلمانية الشاملة، للمسيري، ج١ ص ٩٧، ٩٦.

العربيــــة في الكتابــــة.. ثــــم حـــل وزارة الـــشئون الدينية...»[1]، وألغى الجذور الإسلامية كلها...

فـــالثورة الكماليـــة - يقــول الــشيخ يوســف القرضـاوي - لـ «كمـال أتـاتورك» كانت قـد جعلت مـن العلمانيـة أسـاس الدولـة وأسـاس التحـديث فيهـا مما كـان يعني أن الإسـلام يجب أن يخرج من الحياة العامة»[2].

ولقـد كـان مـا فعلـه أتـاتورك كمـا قـال المستـشرق ڤمبـاري (VEMBARI) هــو نتيجـة للتـأثير والـضغط الغــربيين[3]، لتغــيير معــالم تركيــا المسلمة وتحويلهـا مـن الإسـلام إلى العلمانيـة وذلـك بعـد إسـقاط الخلافـة وإثـارة النعـرات القوميـة! ولقـد فـرح «الغـرب» بمـا آلـت إليـه تركيـا المسلمة الـتي قـادت العـالم الإسـلامي قروناً عديدة.

فقـد ورد في النـصوص الاسـتعمارية الـسرية والـتي نــشرت أخــيراً، تقريــر وزيــر المــستعمرات البريطانيــة «أورمــسي غــو» لــرئيس حكومتــه في ١٩٣٨/١/٩، : «ومــن أســباب ســعادتنا أن كمــال أتــاتورك لم يــضع تركيــا في مــسار قــومي علمــاني فقــط، بــل أدخــل «إصــلاحات» بعيــدة الأثــر (!) أدت إلى نقــد المعــالم الإسلامية لتركيا»[4]

تقــول كــارين آرمــسترونج : «كــان مــصطفى كمــــال أتـــــاتورك (١٩٣٨- ١٨٨١م) مؤســـــس الجمهوريــة التركيــة الحديثــة، يمثــل عــبر العــالم الإســلامي عنــف العلمانيــة... كــان أتــاتورك عازمــاً علــى إبعــاد الإســلام عـــن الـــشؤون الـــسياسية والاقتـصادية كافـة، ولأجـل ذلـك فقـد أصـبح أتـاتورك محترمــاً في الغــرب باعتبــاره قائــداً مــسلماً متنــوراً، ولكنــه كـــان في الحقيقـــة دكتـــاتوراً كارهــاً للإسلام، الذي وصفه بـ «الجثة المتعفنة»»[5]

(١) تاريخية الفكر العربي والإسلامي، ص ٢٧٧.
(٢) الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، ص ٦١.
(٣) انظر الاستشراق السياسي، ص ٤٥.
(٤) نقلاً عن هموم داعية، ص ٩٢.
(٥) حقول الدم، كارين آرمسترونج، ص ٤٧٦.

أمـا العلمـاني الـدكتور سمـير أمـين فقـد كـان يـتمنى لـو أن أتـاتورك وحزبـه قـاموا بثـورة ثقافيـة داخل الـدين تكـون أشـد أثـراً وأبعـده ممـا قـام بـه مـن نـسخ أوروبــا بــشكل ســطحي، كــان يتمنــى لــو أن الأمــر كــان نــسخ العلمانيــة بــشكل عميــق ولــيس ســطحي! فيقــول: «لم يفكــروا لحظــة واحــدة أن ثــورة ثقافيــة داخــل الــدين (!) هــي إحــدى نقــاط البــدء للحداثــة الأوربيــة، وأن ثــورة مــشابهة في الإســلام كانــت ممكنــة وضــرورية، لقــد اكتفــوا بـــ «نــسخ أوروبــا بشكل سطحي»[6].

العلمانيـــة هـــي أســـاطير العلمـــانيين عـــن الـــدين والحياة والإنسان.

فالعلمانيــة في الحقيقــة لا صــلة لهــا بــالعلم، وإن كـان فيهـا مـن جزئيـات العلـم، إنمـا هـي تمتطـي ظهـر الفرضـيات العلمانيــة الوقتيــة (والمؤقتــة!!) الــتي ينتمــي أغلـــب مختـرعيهـــا إلى الفكـــر المـــادي، وبـــصورة مـسبقة، فـإذا ظهـر ضـعف فرضـية مـا أوفـسادها حـاولوا حجبهـا (وكـأنها لم تكـن، فـأين مـثلا نظريـة رينــان في الأعــراق؟!)، وعــدم إثــارة الكــلام حولهــا، غالبـاً، والتجـأوا إلى الفرضـيات الـتي لم تلقـى كـثيراً مـن صـور النقـد الـشديدة، كـذلك فالعلمانيـة تمتطـي العلـم، بـصورة عامـة، بغيـة الإسـتفادة مـن نتائجـه أو جعلـه ينطـق بمـذاهبها ومواقفهـا الإختزاليـة كمـا قـال الأســتاذ محمــد قطــب في كتابــه مــذاهب فكريــة معاصـرة: «فـأمـا مـاركس فقـد أنـشأ نظريـة اقتـصادية أو قــل فلــسفة ماديــة كاملــة، بناهــا علــى فكــرة التطـور مـن جهـة وفكـرة حيوانيـة الإنسـان وماديتـه مـن جهـة أخـرى. وأمـا فرويـد فقـد أنـشأ نظريـة نفـسية لتفـسير تركـب الـنفس الإنسانية ونـشاطاتها، بناهـا علـى فكـرة حيوانيـة الإنـسان. وأمـا دركـايم فقـد أنـشأ نظريـة اجتماعيـة لتفـسير الظـواهر الاجتماعيـة بناهـا علـى حيوانيـة الإنـسان وغلبـة نزعـة القطيـع

(٦) مقدمة الثقافة والأيديولوجية في العالم العربي، ص ٢٨.

الحيوانية عليه من جهة، وعلى انعدام الثبات في القيم الاجتماعية من جهة أخرى»[1]

وهي على كل حال تحرف أدلته، وتأخذ منه وترقع، وتعزل نتائجه الكلية في عالم الإنسان والنفس والحياة والمجتمع لأسباب مادية ورأسمالية أو أو لدعاوى عنصرية واستعمارية، أو لأهواء ومواقف فلسفية وأيديولوجية، وذلك يمنع تحقيق المعالجة الشاملة، الإنسانية والرحمانية، لقضايا العلم والمجتمع والإنسان، والوصول إلى نظرة مكتملة في التفسير والتأويل، ومن ثم تحقيق العدل في الأحكام والمواقف، وتحقيق السعادة الحقيقية للإنسان.

الكفران العظيم

وكما قلنا فإن الغرب قد حرف «الحضارة» فأخذ نصفها المادي وترك الجزء الإيماني الذي صنع به المسلمون انطلاقاتهم الحضارية الباهرة، وأضاف بدلا منها الفلسفة العقلانية (المادية، وهي في حقيقتها لا عقلانية) على النصف المادي حتى دخلت الحضارة في عالم الإلحاد والسيولة، والإحتكار والجشع المادي، فأشْقتْ البشرية من جرّاء ذلك مما أدى إلى تحطيم روح الإنسان وعلاقاته المجتمعية الحميمية الأصيلة، كما أدى ذلك إلى تفكك روابط الأسرة، وقيام حربان كافرتان في ربع قرن وتمزق الروح البشري وانحطاط العقل وضياع الأمان، والفوضى الجنسية، هذه هي النتائج المباشرة للبعد عن المنهج العلمي الشامل في النظر إلى الإنسان والمجتمع والحياة، والعلاقات السببية الخاصة بكل ذلك، كذلك بالغفلة الكلية عن عبادة الله الشاملة، عبادته في المعمل والمختبر، وفي عالم الاجتماع والسياسة وعالم الفن والأدب، والإقتصاد وعلوم الكون والطبيعة كما وعبادته في المسجد .

يقول الأستاذ محمد قطب في هذا السياق إن أوروبا: أقامت السياسة والاقتصاد بمعزل عن القيم الروحية وأقامت شئون الجنس بمعزل عن الأخلاق، وشئون الدنيا بمعزل عن الآخرة، وشئون الحياة بمعزل عن الدين وكانت النتيجة تصادم هذه القيم المقطوعة من جذورها المشتركة والصراع المدمر العنيف، والشد والجذب في داخل النفس بصورة تتلف المشاعر وتُمْرض الأعصاب، فوصلت حوادث الجنون والانتحار وضغط الدم والأمراض العصبية والنفسية إلى درجة لا مثيل لها في التاريخ[2].

فالعلمانية بسلوكها طريق الاستقلال عن الله والوحي الذي أنزله على رسله في هذه العوالم المترابطة المتشابكة التي تشكل عالم الإنسان ككل، جرَّت البشرية إلى الشقاء وفقدان الأمل، بعد أن صورتها في صورة الحيوان وألبستها إهاب الحيوان وأباحت لها فعل الحيوان وأطلقت الدوافع الجنسية بدون ضوابط فطرية أو شرعية، ما جعل عقل الإنسان عقل حيواني لا يؤمن إلا بالمحسوس من الطعام والشراب والجنس والمادة، وروح حيواني لا يحس إلا قبضة الطين وبروز الحيوان، ما جعل «العلم» مطموساً مغيراً للمفاهيم الحقيقية لغاية وجود الإنسان وعلاقته بالكون والحياة والإنسان!

ذلك لأنه انساق وراء الفلسفة التي أدعت العلمانية والكونية والعالمية، الفلسفة التي تخفّت وراء العلم، ولبست إزاره، وتكلمت باسمه حتى اختلط على الناس الفرق الضخم بين الفلسفة وفوضويتها وفرضياتها وتخرصاتها والعلم الحقيقي!

أدوار العلمانية:

قلنا إن العلمانية التي جلبها بعض المثقفين العرب إلى بلاد المسلمين غير مُسْلمة المضمون والهوية،

(١) مذاهب فكرية معاصرة، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق، ص ١٠٠.

(٢) دراسات في النفس الإنسانية. ص ٦٣.

الاتجــاه والخـــط، المــشروعية والمــصدر، الإدراك والتصور، العلم والمعرفة ولم نقل هـذا مـن أنفسنا بـل إنها من تعريفات أقطاب العلمانية أنفسهم!

يصف لنـا الـدكتور فـؤاد زكـريـا موقـف الفـصائل العلمانيـة في عالمنـا العربـي والإسـلامي مـن «المـشروع الإسـلامي»: «فالعلمانيـة اليـوم تـضم القـومي واليـساري والليبرالـي والمثقـف غـير المُـسيس وبقـدر مـا يختلـف هـــؤلاء في تعريـــف مفهـــوم التقـــدم أو الإصـــلاح والنهـضة، وفي تحديـد نـوع المـسار الـذي يـسعون إلـى توجيـه المجتمـع نحـوه، فـإنهم متفقـون جميعـاً علـى رفض الأهداف التي يدعوا إليها التيار الإسلامي»[1].

إن الـــدكتور فـــؤاد زكـريـــا الـــذي قـــال أن: «الاشـتراكية هـي وحـدها المرحلـة الـتي تتحقـق فيهـا للإنـسان حريتـه الحقيقيـة»[2] هـو بحـق شـيخ العلمانيـة في عالمنـا العربـي والإسـلامي، وهــو هنـا يؤكـد أن الأهـداف الـتي يـدعو إليهـا المـسلمون مرفوضـة علمانيا ً، وكمـا تقـدم مـن كـلام د. أركـون فـإن ذلـك مفهـوم، فالـذي يختـار العلمانيـة لا بـد أن يواجـه الإسـلام في مفاهيمـه الكليـة أو علـى أقـل تقـدير في بعـض مفاهيمـه الـضرورية، كـالمفهوم الإسـلامي للـدين والدولـة والعلاقـة بينـه وبـين سياسـة الخلـق والرعية.

إن الـدكتور فـؤاد زكـريـا تبنـى بـدلاً مـن الإسـلام مفـاهيم غربيـة مـستوردة، وأقامهـا في مواجهـة الحركـة الإسـلامية والأزهـر الـشريف، ومؤسـسات الإسـلام الكـبرى، تبنـى الماركـسية الـتي زعمـت أن الـدين والأخـلاق والفطـرة الثابتـة مـن اختـراع وسـائل إنتاج المجتمعات الزراعية القديمة!

تبنـى «الفلـسفة الوضـعية» لـ «أوجـست كونـت»[3] الـتي دعـت إلى رفـض الـدين وتجـاوزه باعتبـاره لا يـصلح إلا لتنظيـم الـشعوب البدائيـة، وأنـه لـيس سـوى خطـوة من خطوات الإنسانية نحو المبدأ العلمي الحديث[4]!

حـاول بهاتـان الفلـسفتان- مـع خلـيط مـن فلـسفات أخـرى! - أن ينـسب «تخلـف المـسلمين» العـصري إلى المرجعيـة الإسـلامية! فعـالج الحقـائق الإسـلامية والـتراث الإسـلامي بهـذه الفلـسفات الـتي واجـه بهـا الحركـة الإسـلامية المعاصـرة، وقـف يتحـدى «الـوحي» بالعقـل والفلـسفة معطيـاً الهيمنـة لا للإسلام ولكن للفلسفة التي آمن بها!

وذهـب ليتحـدى «الـتراث» اقتـداءاً بالنهـضة الأوربيـة الـتي رفـضت الـوحي ونـادت باسـتقلال الإنـسان والعقـل مـا أدى إلى الإلحـاد الحـديث، دعـا إلى ذلـك علـى «أسـاس الـرفض الحاسـم للـتراث»[5] وهـو يُـرجِّح أن يُقصره علـى الفـترة الأولى مـن حيـاة المـسلمين بحيـث لا يتجـاوز هـذه الفـترة، لا الـتراث ولا الـدين ولا شـريعة هـذا الـدين يحـق لهـا أن تبقـى كمـا كانـت بـل يجـب في نظره أن يُتجاوز كل ذلك!

وهـو لا يخجـل مـن إعـلان ذلـك فيقـول: «الأوربيـون لم يخجلـوا مـن إعـلان رفـضهم القـاطع لـتراث كامـل ينتمـي إلى صـميم ثقـافتهم وتمتـد إليـه جـذورها.. ولم يكـن في موقـف الـرفض القـاطع هـذا مـا يعيـبهم (!) بـل لقـد أصـبح هـذا الموقـف هـو أسـاس مجـدهم.. ولم يمنـع ذلـك، بطبيعـة الحـال مـن أن يتخـذ الأوربيـون فيمـا بعـد موقفـاً متوازنـا (!) مـن الـتراث القـديم حيـث وضـعوه في إطـاره التـاريخي (!).. ولم يعـد هنـاك مـا يُخْجـل في الاعـتراف بقيمـة الـتراث الكلاسـيكي وفي تمجيـده بوصـفه قـوة كانـت لهـا قيمتهـا التاريخيـة الكـبرى في عـصرها، وإن تكـن التطـورات التاليـة

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل.

(٢) آفاق الفلسفة ص ٧٠.

(٣) مؤسس المدرسة الوضعية التقليدية (١٧٩٨ – ١٨٥٧) وهي المدرسة التي تؤمن بأن ما عدا قضايا العلم الواقعي المحسوس فإنه لا يعدوا أن يكون خيالاً أو كلاماً في كلام، ويعبرعن ذلك فيلسوف ألماني تأثر =

بـ «كونت» وهو «لودفيج فورباخ» (١٨٠٤ – ١٨٧٢) فيقول: «الله كانت فكرتي الأولى.. والعقل فكرتي الثانية.. والإنسان بمحيطة الواقعي – هو فكرتي الثالثة والأخيرة»، الفكر الإسلامي الحديث، د. محمد البهي، ص ٢٨١. نقلاً عن بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانية ص ٢٩. وسنتكلم عن فيورباخ في فصل حسن حنفي بصورة أوسع.

(٤) انظر سقوط العلمانية، للجندي، في تعريف الوضعية ص ٢١.

(٥) الصحوة الإسلامية ص ٣٩

قد تجاوزتها إلى حد لا متناه.. فهو يمجد لأنه كان شيئا رفيعا في عصره، على حين أن تخلفه يظهر واضحاً إذا ما قورن بالأوضاع التي تجاوزته في العصر الحالي»[1].

فهو يعلن أن «المشروعية الإسلامية» يجب أن تتوارى مع التاريخ القديم!، كما توارى تراث أوروبا المسيحي/الكلاسيكي، أي الدين المسيحي، والتراث الذي خلفه بما فيه من انحرافات كان المسلمون في الحقيقة قد أدانوه وأظهروا عيبه وخرافاته، كما بين لهم القرآن عيوبه العقلية والنصية، وإنحرافاته المكتوبة والمسطورة، لكن يظهر أن الدكتور زكريا ماهر في طمس حقائق التاريخ وعلى هذا الأساس ينادينا بأن نتجاوز ترثنا مع أن هذا التراث بما فيه الوحي والسنة[2]، وما نتج عنهما من عقل وسببية في العلم والنظرة للعالم هو الذي حرَّض أوروبا على تجاوز تراثها الكنسي المنحرف وعلمها مبادئ العلم وطريق البحث العلمي والتجريب، فكيف نتجاوز الإسلام، وعقائده، ووحيه، وعلمه عن الكون والعقل والآيات الكونية والمادة المدروسة، وهو الذي حرَّك نهضة أوروبا في بدايتها على التحرر من الدين المسيحي المنحرف والكنيسة التي تحالفت مع الإقطاع وأذلت الشعوب وفرضت على الناس الإتاوات كما فرضت عليهم أعمال السخرة فيما تملك من الأرض[3].

تعلم الأوربيون من الحضارة الإسلامية في الأندلس العلوم التجريبية التي انطلقت من التعاليم الإسلامية، كما تعلموا أن أفكار الكنيسة الدينية، والعلمية مخالفة للعلم الذي كان يعلمه المسلمون انطلاقاً من القرآن والتجربة المعملية والنظر والخبرة على السواء.

فما الذي يدعونا إليه د. فؤاد زكريا؟ أن نترك القرآن وشريعته ونحن الذين علّمنا أوروبا الانفتاح على القوانين الطبيعية التي خلقها الله وتحكم الكون بأمره، علمناهم مناهج بحث وطرائق تفكير منفتحة على الكون تلتمس أسبابه وتنفع الإنسانية كلها (فهذا الأصل كيف يُتجاوز؟!).

علمناهم أن الحركة العلمية الموارة لا تنطلق أبداً إذا كان هناك استسلام للخرافة وترك الأسباب لتعمل لوحدها بقدرة الله، وإنما قدر الله الحقيقي هو الأخذ بأسباب الكون والتفكير وتعقُّل السنن الإلهية وتدبرها، السنن التي يجرى الله بها قدره في الكون المادي وفي حياة البشر[4].

علمنا أوروبا النظافة وإنشاء المدن المضاءة والشوارع الممهدة كما يقول الشيخ محمد الغزالي[5].

فكيف نتجاوز هذا الواقع الفريد، وهذا النموذج الإنساني المتوازن المُصلح للعالم، نظام حياة، وواقع جديد، رفيع كريم نام متجدد للحياة

---

(١) الصحوة الإسلامية، ص ٣٩. الغريب أن فؤاد زكريا كان قد ذكر قبل صفحة واحدة من كلامه هذا أن أوروبا استفادت من تراث حضارتنا العلمية: «أما الذين انتفعوا حقا من هذا التراث فهم الأوروبيون، الذين أفادوا من جهود العرب في الميادين الفلسفية والفكرية والعلمية خلال الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى... نتيجة لا مفر منها، هي أن الحضارة الأوروبية هي التي حفظت التراث العربي وصانته بالطريقة الصحيح»، في حين أنه قال عن الدين في الغرب: «وكان الدين يصارع الحقيقة العلمية بكل ما أوتي من قوة» ص ١٢٩.وقال: « فقد أتى العلم الأوروبي الحديث بعد فترة انقطاع زال فيها تماما أثر النهضة العلمية الإسلامية الشامخة في العصر الوسيط» ص ١٣٠. وعن معرفته بذلك التأثير واعتراف أوروبا به متأخرا انظر ص١٣٤. فقد اعترف بـ» النهضة العلمية الإسلامية الشامخة في العصر الوسيط «، و» الامتداد الهائل للحضارة العربية الوليدة» (خطاب إلى العقل العربي، فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م،ص ٣٣)، وإن نادى بتجاوزها!!

(٢) يضع العلمانيون القرآن والسنة في التراث حتى يهدموهما مع التراث الإسلامي! ونحن لا نقبل أن نضع القرآن الكريم في خانة التراث لأن التراث فيه الحق والباطل، ثم هو كلام الله ووحياً إلى البشر وليس جزءاً من التراث صنعوه!

(٣) كانت الكنيسة تملك ثلثي أرض إنجلترا، تاريخ أوروبا لفشر ص ٢٦٢، وكانت أكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا وأكبر ملاك الأرض، قصة الحضارة، ويل ديورانت جـ١٤ ص ٤٢٥. ولمزيد من التوسع انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص ٤٢، ٥٤، والتطور والثبات، ص ٢٦٧.

(٤) انظر كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص ٦٢.

(٥) انظر علل وأدوية، ص ٩٩.

البشرية غير منفصل عن الوحي ولا عن احترام العقل.

نظام ينشئ آثاراً شعورية وخُلقية وحركية في ضمير الفرد وفي سلوك الجماعة، وفي نظام الحياة تقف أمامه النظم الأرضية المختلفة عند مفرق الطرق[1].

لقد قامت الحركة العلمية في الأندلس وصقلية والشرق الإسلامي في ظل العقيدة وبدافع منها، ومن قاعدة طلب العلم «فريضة» يتقرب بها الإنسان إلى الله، وقيامها على هذا المنهج، يقول الأستاذ محمد قطب: «قد صان هذه الحركة عن أن تُستَخْدم في إفساد العقيدة أو إفساد الأخلاق كما تستخدم الحركة العلمية القائمة اليوم في الغرب سواء في تقديم نظريات «علمية!» تنفي صدور الخلق عن الخالق.. أو فلسفات «علمية!» تسخر من الدين والأخلاق»[2]. العلمانيون العرب يريدوننا أن نتجاوز الإسلام بزعم أنه حلقة متخلفة مضى عليها الزمن وعفى عليها الأثر وأكل عليها الدهر وشرب!

ومع أن معطيات الواقع التاريخي المحسوس الحقيقي تؤكد أن الإسلام صنع حضارة علمية تجريبية معملية باهرة، وأنه حث على العلم، مع ذلك فإننا نجد العلمانيين يحرفون حقائق القرآن والتاريخ.. ثم يطالبون بفضح المغالطات التاريخية «زعموا!!» ونقد تاريخي للقرآن والإسلام والحضارة الإسلامية وهذا أحدهم كما قدمناه للقارئ وهو، د. محمد أركون الجزائري- السوربوني، طالب بـ «القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمعالجات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس»[3]!

طالب بذلك في محاضرة له، ألقاها في باريس عام ١٩٧٤ ضمن المؤتمر العلمي الذي عقدته «منظمة الدراسات الإسلامية»[4] (مؤتمر غربي مغرض!)

ويعتبر القرآن «عجيب مدهش ديني مرتبط بالفكر الأسطوري»[5] قالها للأوروبيين في نفس المحاضرة وبما أنه وضعي كفؤاد زكريا ولا مؤمن فإنه يقول: «فيما يخص اللامؤمن أو الروح الوضعية وكما نقول اليوم فإننا نجد على العكس أن العجيب المدهش ليس إلا تنازلاً مؤقتاً يقدمه العقل للإثارة والظواهر الخيالية»[6].

فالقرآن - بحسب مزاعمه - : «القرآن يُنجز أو يبلور (بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة) [7] شكلاً ومعنى جديد أي عملاً متكاملاً مجهزاً بطريقة استخدام وأسلوبية خاصة في اللغة العربية» ومازال الكلام له في نفس المحاضرة الباريسية!

ويقول في نفس المحاضرة - التي وضعها كفصل في كتابه الفكر الإسلامي - أن هدفه - زيادة على - ما قاله آنفا - هو: «القيام برد فعل ضد تراث طويل جداً من تفسير القرآن وقراءته» ويُذكرهم بالدكتور محمد أحمد خلف الله الذي اعتبر القصص القرآني قصص غير تاريخي، ليس حقائق تاريخية! الدكتور الذي كان يؤمن بالاشتراكية، يذكرهم أن هذا الدكتور ما كان يملك الأدوات التي تفيد في المهمة الكبرى.. مهمة الخلخلة المباشرة والمتوسعة! ولذلك لم يقم «خلف الله» بها كاملة، ويؤكد لهم أنه هو الذي

---

(١) مقومات التصور الإسلامي، ص ٤٤.

(٢) مقومات التصور الإسلامي، ص ٤٤.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٣، ٢.

(٤) كما ذكر في كتاب الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٨٧. ولي كتاب عن تلك المحاضرات التحريضية، لأركون نرجو الله أن يصدر قريباً.

(٥) المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٦) المرجع السابق، ص ١٩٧. من هذا النص تستطيع فهم موقفه من الدين والتدين والمتدين المسلم، بعيدا عن بقية ما نزل به القرآن من العقيدة والشريعة والحق والقيم والمبادئ.

(٧) ما بين القوسين من كلامه.

يستطيع القيام بالمهمة مع تجاوز ما وقع فيه خلف الله من: «حرصه على مراعاة الموقف الإسلامي الإيماني ونقص معلوماته فيما يخص البحوث الجارية اليوم في مجال التحليل الأدبي»[1] ، فهل هذا هو«الفكر الحر» الذي يطالبون بفتح بلادنا الإسلامية للترحيب به بدلاً من عزله؟ هل يمكن أن يصبح هذا الفكر «تنوعا خلاقا»! هل كان هذا هو الفكر الحر الذي علم أوروبا كيف تتحرر من خرافاتها وتنطلق بأدوات الحضارة الإسلامية إلى التطور والتقدم؟

مَنْ يعاني مِنْ مَنْ، أَالفكرالمقلد للغرب يعاني كفكر حر - مزعوم!- في العالم الإسلامي أم أن العلماء المسلمين والمفكرين المسلمين هم الذين يعانون من الدكتاتورية العلمانية والإرهاب الفلسفي؟ إنَّ الدكتور فؤاد زكريا، شيخ العلمانية في العالم العربي والإسلامي، والمؤمن بالماركسية والفلسفة الوضعية والمغرم بالوجودية وما شابه الوجودية يعاني كفكر حر في الوطن العربي والإسلامي!!! فيقول: «إنَّ الوطن العربي يعاني في الوقت الراهن من قيود –في الوقت الراهن- من قيود على الفكر الحر لم يعرف لها مثيلا منذ زمن بعيد»[2] ، يقول ذلك وهو الذي يحرض الدولة المصرية على التقليل من الحصة التي رصدتها للدين ومنحتها له في البرامج الإعلامية!

إنه يرفض أن: «تُسخِّر أجهزتها الإعلامية لنشر برامج دينية تزداد مساحتها أو ساعات إرسالها باطراد»[3] ، يرفض « اهتمام الدولة بنشر الموضوعات الدينية وإذاعتها على نطاق واسع»[4]!

إن الدين عنده كما عبَّر عن ذلك يمثل مرحلة تاريخية غابرة فحسب، وعصر العلم يتجاوزها! يقول شارحا ومعلقا على فلسفة «أوجست كونت» التي يؤمن بها إيماناً أعمى أنها: «نظرت إلى المرحلة الدينية بأسرها على أنها مرحلة أولية من مراحل الفكر البشري (!)، ومن ثم فلابد من تجاوزها، وبالفعل فإن عصر العلم يتجاوز هذه المرحلة بحيث لا تعود لها من الأهمية إلا من حيث أنها تمثل مرحلة تاريخية غابرة فحسب».

قارن هذا التعليق مع ما ذكره آنفا عن موقف أوروبا من تراثها حيث تجاوزته التطورات إلى حد لا متناه، وأن تخلفه يظهر واضحاً إذا ما قورن بالأوضاع التي تجاوزته في العصر الحديث، تجد أنه

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٢، والدكتور محمد أحمد خلف الله ولد في الشرقية سنة ١٩١٦، حصل على ليسانس الآداب لغة عربية سنة ١٩٤٠، عضو الأمانة العامة لحزب التجمع اليساري، من أقواله: الإسلام دين العرب فقط، مخالفاً بذلك مفهوم الإسلام ذاته بأنه دين عالمي، يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي بعد توبته العظيمة المهيبة: «أن محمداً ﷺ كانت رسالته عالمية لكل أمم العالم ولو كان نبياً مرسلاً فقط إلى الأمة العربية لما فكر في إرسال هذه الرسائل الأربع إلى حكام العالم المعروفين في ذلك الوقت يدعوهم إلى اعتناق الإسلام هم وشعوبهم.. يؤكد القرآن بوضوح أن النبي محمد ﷺ مرسل إلى الجنس البشري كله، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ: ٢٨).. إذن ليس ثمة ريب في أن النبي محمد ﷺ رسول من الله عز وجل إلى كل البشر دون تفرقة بسبب الجنس أو القومية أو الحدود أو اللغة أو اللون.. إن عالمية الرسالة المحمدية حقيقة ثابتة لا مراء فيها»، كتابه دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ٢٤، لكن د. محمد أحمد خلف الله كغيره من العلمانيين يردد أقوال المستشرقين، يقول الأستاذ فهمي هويدي: (الرأي السائد عند عديد من المستشرقين البارزين، الرواد مثل كيثاني وفلهاوزن وميبور والمحدثون مثل الإنجليزي مونتجمبري وات والألماني رودي بارت، هو: «أن النبي لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب وحدهم » وهو نص عبارة السير وليم مور)، كتاب المفترون لفهمي هويدي، ص ١٨٥، ويقول خلف الله أيضا: «الله معبود عربي» وأول بيت له بني بأرض العرب، من قبل أن يكون الإسلام.. وهكذا نستطيع أن نذهب إلى عروبة المرسل للرسالة (!)، التي تعرف باسم الإسلام (!) «ص ٢٤٢ من كتاب الندوة «= = والمرسل للرسالة المدعي عروبته - يقول الأستاذ فهمي هويدي - ليس سوى الله سبحانه وتعالى» فالمقولة خطيرة وتفتح الباب لتجريح الاعتقاد». المفترون، ص ١٨٦.

(٢) خطاب إلى العقل العربي، ص ٤٤. وهو في نسخة الهيئة العامة للكتاب الصادر عام٢٠١٠م، ص٥٠.

(٣) الصحوة الإسلامية، ص ٥١، وفي هذا السياق تقول مني مكرم عبيد «نصرانية وعضوه في مجلس الشعب المصري وأستاذة في الجامعة المصرية»: «إن أخطر قرار أصدره عبد الناصر في مجرى صراعه مع الإخوان، كان تدريس الدين في مختلف مراحل التعليم»، من مقالة لها في جريدة الحياة اللندنية (١١ يوليو ١٩٩٧م العدد ١٢٥٥١).

(٤) الصحوة الإسلامية، ص ١٥٦.

يعامل الإسلام كما تعاملت أوروبا مع المسيحية مع أن هناك فرق بين المسيحية المنحرفة التي حرَّمت العلم وحرفت الدين، في وقت كان النور يشع من الحضارة الإسلامية في الأندلس والشرق الإسلامي الموحّد النور المنبثق من مشكاة القرآن وتعاليمه الحاثة على النظر في الكون والسعي في الأرض واستخدام سُنة التسخير للسماوات والأرض، لكن الدكتور زكريا يطمس حقائق التاريخ كما طمس حقائق الوحي في كتاباته ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] فالعلم في الإسلام لم يتجاوز الإسلام وإنما توافقا وتلازما وتناسقاً معاً وصنعا حضارة زاهية زاهرة عظيمة أفاد منها العالم وما يزال!

فحضارتنا العريقة في التاريخ هي التي اخترعت منهجية العلم التجريبي ومشت فيه خطوات واسعة وطورت أساليب البحث العلمي وهي تتعبد لله في المعامل والمساجد والمدارس فلم يتخلى رجالها عن الوحي لسبب العلم، بل الوحي في الإسلام أنشأ الذهنية العلمية، لكن عبَّاد الغرب لا يفقهون ذلك ولا يعقلون.

بيد أننا لا نلتفت لأفكارهم المتهافتة وتحريفاتها وطمسهم للحقائق فالكون يشهد بأن «الإسلام» لا غيره هو الذي دفع العالم إلى التطوير والتنوير، البحث والكشف، إلى هذه الانطلاقة العلمية التي كان هو مصدرها وملهمها.

فقد دعا إلى وجوب التعلم، وأوجب تدبر آيات الله في الكون والتعرف عليها، بعد أن أخبر سبحانه أن السموات والأرض: «بما تحويان من موجودات وطاقات مسخرة للإنسان بأمر الله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فعليه إذن أن يحقق هذا التسخير بالفعل [المشي في مناكب الأرض والأكل من رزقه]»، من تلك النقطة.. من هذا التوجيه انطلق العقل المسلم يرتاد الكون ويكفي أن يكون هو الذي أنشأ المذهب التجريبي الذي تقوم عليه كل فتوحات العلم الحديث»[١].

ويكفي أن نثبت هنا ما قاله «بريفولت» في الحضارة الإسلامية، التي قامت أساساً على أصول الإسلام ومبادئ القرآن. إذ يقول في كتابه «بناء الإنسانية - Making of humanty»: لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية»[٢] على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج.. إنَّ العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في أسبانيا، لم تنهض في عنفوانها إلا بعد وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة، وراء سحب الظلام، ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية، لأنه على الرغم من أنه ليست ثمة ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما يكون في نشأة تلك الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة، وفي المصدر القوي لازدهاره: أي العلوم الطبيعية، وروح البحث العلمي».

ويستطرد فيقول: «وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا إلى الثقافة العربية [يقصد الإسلامية] بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه»!

إن الحضارة الإسلامية، والإسلام بطبيعة الحال.. بناء على هذه الحقائق، ليست مرحلة غابرة

(١) التطور والثبات في الحياة البشرية، ص ٢٣٥.

(٢) يقصد الحضارة الإسلامية، وقال: «التاريخ لم يعرف للعرب حضارة متميزة إلا بالإسلام، كما أن الحضارة الإسلامية لم تكن قط حضارة للعرب كجنس، إنما كانت نتاج الإسلام ذاته من جميع العناصر المسلمة التي دخلت في الإسلام، وهي تحمل طابع الإسلام لا طابع العرب، والعرب عنصر واحد من العناصر الكثيرة التي صنعت هذا الحضارة»، التطور والثبات، أ.محمد قطب ص ٢٣٦.

كما زعم العلمانيون ومنهم د.فؤاد زكريا، وأنه يجب تجاوز وجود هذه المرحلة، كما دعا وطلب وذلك لسبب بسيط، وهو أن وجود الحضارة مدين للمصدر الذي أمدها بروح البحث والتجريب، وروح البحث العلمي، الروح المنطلق من الدعوة القرآنية للنظر والتعقل والمشي في مناكب الأرض وآيات الكون، أما أن يقتل الإبن البالغ أبيه زاعماً أنه نضج فهذا هو الجنون نفسه (لكن الفلسفة المادية إدعت أنها قتلت الرب، واستغت عن الأب!، واخيراً قال أحد أقطابها: إن الإنسان قد مات).

يقول «بريفولت»: «أما ما ندعوه «العلم» فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة، من طرق التجربة والملاحظة والقياسات ولتطور الرياضيات إلى صورة يعرفها اليونان.. وهذه الروح وتلك المناهج العلمية، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي»[1]. بيد أن أوروبا رفضت «الإسلام» الذي كان قد خلق هذه الروح في عالم المسلمين!

«رفضت أن تأخذ الإسلام ذاته عقيدة ومنهج حياة، وعادت إلى الجاهلية الإغريقية والرومانية تستمد منها بدلاً من الدين الكنسي الذي لفظته، والدين الصحيح الذي رفضت بدافع العصبية أن تدخل فيه، ومن ثم عادت - كما قلنا- إلى العقلانية اليونانية بزيادة انحراف جديد هو النفور من الدين، والسعي إلى إخراجه من مجالات الفكر والحياة.

لقد كانت الجاهلية الإغريقية جاهلية وثنية خالصة في واقع حياتها، ولكن «المفكرين» و«الفلاسفة» فكروا في الله سبحانه وتعالى، وحاولوا تصوره على قدر ما اجتهدت عقولهم، فاهتدوا إلى وحدانيته وكماله وجلاله، ولكن تشعبت بهم الظنون في متاهات لا قرار لها.. أما جاهلية عصر الإحياء وعصر النهضة فقد سخرت «عقلها» في كيفية الاستغناء عن الله، وإخراج موضوع «الإلوهية» من ميادين الفكر والحياة واحداً إثر الآخر»[2].

إنَّ رفض الإسلام الذي أمد هذه الحضارة بالروح العلمية التي تكلم عنها «بريفولت» يعني رفض «الحياة» التي أمدت أوروبا بالطاقة وقام عليها البناء العلمي الذي اعترف علماء الغرب أنه مأخوذ من مصدر الثقافة الإسلامية! نعم، على هذا البناء ومن هذا المصدر قامت الحضارة الغربية، التي لولا سيطرة الفلسفة - ورفض الإسلام - عليها بعد ذلك لقدمت للبشرية الخير والبر والإحسان والأمان بدلاً من الشقاء، والانتحار والجنون، والشذوذ والجريمة، والفوضى والسعار الجنسي، والضغط العصبي والنفسي وتمزق الروح البشري والانحراف عن الفطرة وعن دين الله والعبودية الحقة.

.. بيد أن فوق هذه الجرائم التي يرتكبها العلمانيون العرب بحق الإسلام فإنَّ لهم جريمة كبرى ارتكبوها وهم يقومون بدور العبد للفكر الفلسفي الغربي، هذه الجريمة هي أنه بدلاً من إعلام أوروبا بالحقائق الإسلامية التي تختلف جذرياً عن خرافات الكنيسة المنحرفة ومقدساتها الكتابية المزورة، بدلاً من إعلامها بأن الإسلام ليس ديناً ينبغي تجاوزه وأنه ليس اختراع الناس البدائيين وأنه دين الله، ودين الفطرة البشرية، دين حث على العلم، واحترام العقل ودعا إلى التقدم والتطور واستخدام السنن الكونية وأن ذلك لا يتعارض مع مفهوم القدر في الإسلام ولا مفهوم العبودية الإنسانية لله، ولا حقيقة الألوهية، بدلاً من إثبات هذه الحقائق وتوصيلها رسالة إلى أوروبا مع الحقائق التي قدمناها عن الإسلام وحضارته، قاموا

(١) كتاب «تجديد الفكر الديني» محمد إقبال، ص ٢٥٠، نقلاً عن مذاهب فكرية معاصرة، ص ٥١٥.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ص ٥١٦.

بدور المستشرق الخبيث الذي كان يحارب الإسلام وشريعته زمن الحروب الصليبية وأزماننا المعاصرة سواء، والذي يمدحونه فيما يقدحون في صحابة رسول الله ﷺ وعلماء الإسلام القدامى والمعاصرين سواء، قاموا بدور الزنادقة الذين خرجوا قديماً على حضارة الإسلام يريدون شدَّها إلى زندقة الحضارات البالية وفسادها الأخلاقي وتخلفها الروحي، قاموا بدور الصاد عن دين الله ما أدى إلى تشويه رسالة الإسلام عند الغربيين، خصوصاً والإعلام الغربي يستغل هؤلاء العلمانيين فيصنع معهم لقاءات تلفزيونية مغرضة - وآخرها كان لقاء قناة تلفزيونية ألمانية مع د. نصر حامد أبو زيد - ليصبوا في النهاية في بحر الغرب المظلم الغريق، ويُضل بهم جماهير غربية غفيرة، وقد كان يمكنهم بدلاً من ذلك أن يستخدموا مناصبهم ومواقعهم وشخصياتهم في توصيل الحقائق التي دعا إليها الإسلام وأقام بها حضارة إسلامية زاهية، لكنهم نكسوا على رؤوسهم وقلدوا تقليد القرود وغيروا جلودهم كما يُغيِّر الثعبان جلده!

لقد صنعهم «الغرب» ليكونوا «عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية»[1] عقلية تريد: «إزالة عناصر التمييز والذاتية، وخصائص النفس والعقل والمزاج المستمد من الإسلام، وقتل هذه الذاتية واحتواؤها»[2].

كما أنهم يختزلون الإنسان في قوانين مادية فلسفية ويخضعونها لحتمياتها وحتمياتهم أو فرضياتهم، وأساطيرهم وتخرصاتهم، فيبتلعه الحيز المادي الطبيعي أو المصطنع، كافراً بالغيب، معرضاً عن الحق، فيعيش في ظلمات الفكر الطبيعي (نسبة للطبيعة والمادة المجردة)، «بحيث يصبح جزءاً لايتجزأ منها، ويختفي ككيان مركب متجاوز للطبيعة وللمادة، منفصل نسبياً عما حوله وله قوانينه الإنسانية الخاصة»[3].

إنهم يقومون بدور الخديعة للأمة الإسلامية فيقدحون في الوحي الذي أنزل من عند الله وأمنت به، ويدعون إلى هوية أخرى غير هوية هذه الأمة وثوابت غير ثوابتها ومع ذلك يقولون نحن لا نفعل ذلك، ونحن قوم أمناء على هذه الأمة!

وكمثال على ذلك، فإنَّ أركون الذي زعم منذ قليل أن التاريخ يُظهر مغالطات قرآنية تشكيكاً للأمة في قرآنها، هذا «الأركون» ينصره د.علي حرب، بالقول في سياق الدفاع عنه: «ولعل البحث لا يتقدم إلا بخلخلة الاعتقاد وزحزحة القناعات وتبديل زاوية النظر إلى الأمور والأشياء»[4]، ويقول كمال عبد اللطيف تلميذ الجابري، مؤيداً لأركون، في سياق دفاعه أيضاً عن أن الدراسات الشارحة للتراث لاتفيد لأنها: «تظل دون عتبة البحث المنهجي، الرامي إلى خلخلة الأصول ومساءلة الثوابت وإعادة المعطيات في ضوء الأسئلة الجديدة، والمفاهيم المستجدة»[5]، وهي المفاهيم التي استعارها د. أركون من المذاهب الفلسفية الحديثة والتي تُحقِّر «الوحي الإلهي» ويطبق أركون رؤيتها المادية على القرآن فيقدح في هوية القرآن وتنزيله، وهوية الأمة وخيريتها بدينها.

هذا الدكتور السوربوني ليس له هم إلا طمس هوية الأمة ليضع في رقبتها أغلال الغرب التي أشقتها، ومع علم د.علي حرب بذلك وقد قدمنا قوله في خلخلة الاعتقاد وتأييده لأركون في ذلك - وسيأتي من هذه الأقوال الكثير!- فإنه يدافع عن أركون قصد التلبيس على القراء وزيادة في التشويش والخلخلة وإمعاناً في «الخداع» والمكر

(١) شبهات التغريب، أنور الجندي، ص ١٣.

(٢) سقوط العلمانية، أنور الجندي، ص ٢٣.

(٣) حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري (٢) العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حريفي، دار الفكر، ص٢٤.

(٤) نقد النص، ص ٧٢.

(٥) جريدة الحياة، ١٦ مايو ١٩٩٧ العدد (١٢٤٩٥).

يقول: «وإذا كان البعض يعترض على قراءة أركون التفكيكية بالقول أنها تؤدي إلى تفكيك الهوية وضياع المعنى ومن ثم يتهم صاحبها بالتهم المعروفة كالتخريب الثقافي، ويصنفه بين الخارجين والمنشقين، أو بين المستشرقين والمستغربين، فما هي إلا أشكال للتصنيفات القديمة إياها.. فالنموذج العقائدي، بما هو عقل مغلق (!)، يري إلى الاختلاف والمغايرة بوصفها ابتداعاً وانحرافاً وينبغي فضحهما وإدانتهما، وقديماً كُفِّر الفلاسفة على آرائهم واجتهاداتهم.. الإقرار بالاختلاف هو السبيل إلى التوحيد (!) وليس العكس كما يظن ويعتقد، على أننا لا ننظر إلى الاختلاف بوصفه ضلالاً أو انحرافاً، بل بوصفه طريقاً آخر(!) أو مذهباً آخر أو اجتهاداً آخر(!)»[١]. يقول ذلك في نفس الصفحة التي ذكر فيها أن عمل أركون هو خلخلة الاعتقادات وزحزحة القناعات! ويعتبر ذلك فكراً واجتهاداً آخر يجب إعطاءه مساحة للنقد!

ومع أن علي حرب غارق في بحر الفلسفة المظلم إلا أنه يطالب بالتحرر من أي أصول «فمهمة الفكر أن يفكر بالتحرر من كل وصاية ومن أية جهة أتت سواء أكانت وصاية الفلسفة وأهلها أم وصاية الشريعة وأئمتها»[٢]! وهو يتهم عقيدة الإسلام بأنها «عقل مغلق» كما فعل أركون تبعاً لمفكرين غربيين كما سيأتي في الفصل الذي صنعناه عن د.محمد أركون.

فإذا كانت الشريعة هي الإسلام وقوانينه ومبادئه وتشريعاته وعقائده وقيمه، فإن التحرر منها يعني التحرر من الهوية الإسلامية وإذا كانت السلطة في الإسلام هي للشريعة الإلهية فإنَّ التحرر من هذه السلطة تحرر من السلطة الإلهية.

(١) نقد النص، ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

وإنَّ د.حسن حنفي[٣] يصب أيضاً في هذا الاتجاه، فيقول: «مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها سلطة الماضي وسلطة الموروُث، فلا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع...»[٤]! وسيأتي أيضاً في الفصل الذي خصصناه لفكر د.حنفي قوله في عدم لزومية الوحي فالسلطان للعقل فقط!

فهل تحرر هؤلاء فعلاً أم صاروا عبيداً لحفلات السيرك الغربي يغير لهم جلودهم كلما رأى ذلك مصلحة له ومسلياً للنظارة الغربيين!

لننظر إلى قول المتحرر د. علي حرب التالي: «الفكر الغربي هو الذي أيقظنا من سباتنا الحضاري وفتح لنا أبواب النقد... بحيث نغير جلدنا تماماً كما يغير الثعبان جلده»[٥]!!! فأين التحرر من الفلسفة وأهلها هنا؟! وقد غيرت له جلده تماماً كما يغير الثعبان جلده!!!

لم يصل «الاجتهاد العلماني!» إلى هذا الحد، بل لقد طالب الأستاذ «كرم الحلو» من خلال مقالاته في جريدة الحياة التي تصدر من لندن بالغزو الثقافي ورياح الغرب المدمرة فقال: «فليكن الغزو الثقافي الغربي الصدمة الكهربائية المنقذة من نهايتنا المحتومة ولتهب علينا رياح الغرب من كل الجهات لتغزنا ثقافته ولتستفزنا قيمه فربما كان من ذلك خلاصنا ويقظتنا من سبات طال وطال حتى كأنه الموت»[٦]، يقول ذلك ولا يسأل – يقول الأستاذ منير شفيق[٧]- إن كانت بعض تلك الرياح صهيونية

(٣) رئيس قسم الفلسفة (الإسلامية) – آداب القاهرة.

(٤) التراث والتجديد، ص ٤٥، نقلاً عن المثقفون العرب والتراث، ص ٢١٧.

(٥) نقد النص، ص ٤٣.

(٦) جريدة الحياة، ١٩٩٨/١/٥م.

(٧) الأستاذ منير شفيق، مفكر إسلامي فلسطيني، من مواليد القدس ١٩٣٦، من عائلة مسيحية، عمل قبل انتقاله من أرض العلمانية إلى أرض الإسلام في إطار الحزب الشيوعي الأردني حتى عام ١٩٦٥ له كتابات قديمة ماركسية مثل «الماركسية اللينينية والثورة المسلحة»، «المركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري»، «في علم =

وبعضها متصهينة وبعضها جاء ليهب بأبشع ما جاء به الاستعمار القديم وبعضها جاء ليتحكم بالدولة والتعليم والحياة اليومية بأشد مما كان عليه الحال أيام الاستعمار المباشر، وبعضها يحمل كل ما يمكن أن توررده الثقافة المنحطة التي تشجع على.. تهديم العائلة، وتروج للعنف والجريمة وأنواع الانحراف»[1].

إنَّ كرم الحلو يطالب بتذويب الهوية الإسلامية لصالح العولمة الغربية فيقول: «فلنكف عن استحضار التاريخ واللوذ إلى رموزه صوناً لهوية لم يعد ممكناً تأكيدها إلا بانخراط أكثر فأكثر في ثورة العولمة والحداثة حيث الواقع العلمي الراهن يتجه نحو هوية (معولمة) من خلال التشكيل المستمر التي تخضع لها الهويات القومية»[2].

ومعلوم أن العولمة تُسقط الحدود والخصوصيات، ويصبح كل البشر كائنات وظيفية - كما قال المسيري- أُحادية البعد، وهي «القفص الحديدي»[3] كما هو تعبير ماكس فيبر.

إنَّ جوهر ثقافة «الغرب» اليوم هو إعطاء السيادة للإنسان المنحرف بديلاً عن الله خالق الإنسان، وكل العلمانيين يعلمون ذلك، يقول د. محمد أركون عن «الغرب»: «نجد أن مركز السيادة قد انتقل من السماء إلى الأرض ومن الله إلى البشر»[4]. فالدعوة إلى العلمانية «الغزو الفكري الإلحادي» تعني إعطاء السيادة للإنسان وإبعاده عن الله، نقلها من سيادة الشريعة الإلهية إلى سيادة عقل الإنسان، وفي الحقيقة فإن انتقالها في «الغرب» كان إلى عقل إنسان الفلسفة الإغريقية اليونانية والرومانية الإباحية!

وقد جاء الإسلام لحرب هذه الفلسفات العقلانية المنحطة التي يريد العلمانيون العرب في العصر الحديث أن تنتصر - في أحدث صورها! - على الإسلام! الإسلام الذي قال عنه د. أركون بعد ملاحظة دقيقة: «نلاحظ في كل المجتمعات الإسلامية أن الإسلام بصوره المختلفة... يشهد اليوم انتشاراً وذيوعاً لم يعرفها في ماضيه السابق كله»[5] «الخطاب الإسلامي ذائع أكثر من أي وقت مضى»[6]، إذن، ستكون ضراوة المعركة بين الإسلام والكفر شديدة، أكثر من أي وقت مضى!

وقد أعطى الغرب أسلحته للعلمانيين العرب وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية الأخرى ليقوموا بالحرب المباشرة وغير المباشرة ضد هذا الدين وضد هوية هذه الأمة الإسلامية الحضارية، وضد خصائصها ومقوماتها بلا هوادة ولا ضمير! فامتطى بعضهم «حصان طروادة» ودخل تخوم الإسلام والمسلمين ليهدم البناء من الداخل كما فعل أغلب العلمانيين!

فادعى د.حسن حنفي أنه مجدِّد الدين في القرن العشرين.. ثم نقد الوحي وعقائد الإسلام الثابتة، حتى قال عنه د. علي حرب - وهو أخ له في العلمانية! - : «حسن حنفي لا يستطيع نقد العقائد والمذاهب إلا باسم الدين نفسه»[7]! ويوضح لنا إلى ماذا يسعى حنفي فيقول: «يسعى إلى قلب كل المفهومات»[8].

الحرب»، وبعد إيمانه بالإسلام وتركه للماركسية ألف «الإسلام في معركة الحضارة»، «الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر»، «ردود على أطروحات علمانية»، «العلمانية والديمقراطية في التجربة الغربية»، «في الحداثة والخطاب الحداثي»، «تجارب ست ثورات عالمية»، «في نظريات التغيير»، «النظام الدولي الجديد وخيار المواجهة»، «تجربة محمد علي»، «الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات»، «الدولة والثورة رد على ماركس، انجلز، لينين، ومقاربات مع الرؤية الإسلامية».

(١) جريدة الحياة، ١٩٩٨/١/٢٨.
(٢) جريدة الحياة، ٢٠٠٠/٣/٦.
(٣) العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، للمسيري، ج٢ ص ٤٦٤.
(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ١٨١.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٥.
(٦) المرجع السابق، ص ١١٨.
(٧) نقد النص، ص ٣٠.
(٨) المرجع السابق، ص ٣٠.

ويقول جورج طرابيشي عن حقيقة د. محمد عابد الجابري أنه يأتي العقل العربي - وفي الحقيقة الإسلامي!- متصدياً له - في شبه حصان طروادة جديد - من داخل الأسوار[1].! وسنتعرف بعد قليل على هذه النماذج الفريدة بشكل أكثر وضوحاً!

إنَّ د. فؤاد زكريا يُعرِّي إخوانه الذين اختاروا أن يهدموا الإسلام من الداخل، من داخل نصوصه الإسلامية، ويصفهم بالخوف والخداع!: «يمكن القول إن دخول الفكر الفلسفي العربي المعاصر في «لعبة النصوص» - وهو أمر أصبح عظيم الشيوع في هذه الأيام - هو ذاته أوضح مظاهر الخوف في الفكر الفلسفي»[2]، لكنه يبرر خداعهم في التلاعب بالنصوص الإسلامية واستخدامها بأنه تلاعب بالنصوص تقتضيه الظروف، إذ أنه قد يكون هو الوسيلة الوحيدة في ظروفنا الراهنة لوجود ألف قيد وقيد!

كان د. ذكريا يود لو أنهم أعلنوا الهيمنة المباشرة للفلسفة على الوحي وانطلقوا منها لمواجهة هذا الوحي بدلاً من دخول معركة يُستخدم فيها أدوات الخصم وتنتهي بالهزيمة وانتصار الخصم!

إذ باتخاذ طريقة «لعبة النصوص» من قبل أغلب العلمانيين كما قال: «يظل جهده - يقصد هذا النوع من العلمانيين - في هذا الميدان محدوداً وتظل مناقشته ملتوية غير مباشرة.. مغلول بألف قيد وقيد، بل قد يرغمه على اللجوء إلى الخداع»[3].

والعلماني الذي يتخذ هذه الوسيلة لمحاربة الإسلام والفكر الإسلامي ينتهي - في رأي د. زكريا - إلى الهزيمة: «لأنه يكون في موقف المهزوم الذي سلَّم مقدماً بأنه خسر أهم أرض يرتكز عليها فهو حين يفترض أن النص لا يقبل المناقشة (!) وحين يدعم موقفه الخاص من خلال النص يواجه بها تلك النصوص الأخرى التي يلجأ إليها الآخر، يكون قد سلم مقدماً بأن النص هو المرجع غير القابل للمناقشة العقلية»[4].

فالنص عند شيخ العلمانيين ليس هو المرجع، إنما المرجع هو الفلسفة (الغربية، طبعاً) يقول: «فالفلسفة تناقش كافة المسلمات»[5]، وترفض التسليم مقدماً بأن النص «بحسب مصطلح العلمانيين!» أو «القرآن الكريم» أو «الوحي الإلهي» هو المرجع الغير قابل للرد والتشكيك والمراجعة النقدية التي يقومون بها تقليداً للغرب المادي الإختزالي، أنه يريد إنقاذ الفكر الفلسفي من الخضوع للنص الإسلامي ولو خداعاً وتلاعباً لحين القضاء على الإسلام والفكر الإسلامي!

لأن ذلك تترفع عنه فلسفة الدكتور زكريا! ويضعها في مأزق حرج! مأزق أن يلجأ العلماني مرغماً إلى ممارسة فاعليته بشروط الطرف الآخر وعلى أرض الطرف الآخر، وهو ما يترفع عنه - نظرياً! - الدكتور زكريا!

فعندما يواجه العلماني مفكراً إسلامياً مخضرماً فإن الارتباك المؤدي إلى التلاعب والخداع من قبل العلماني يُصبه بالذعر ما يجعله يهرب إلى نص إسلامي ليجد فيه مخرجاً قد ينقذه من الوقف المحرج هذا. في حين أن فؤاد زكريا يريد من المحاور أو الناقد أن يتصدى للنص ذاته كما قال (ومع ذلك لم يفعل هو ذلك وكان يتوجس خيفة من تلك الفعلة).

يقول زكريا: «فما الذي يفعله المفكر لكي يتخلص من موقف كهذا؟ إنه يتحايل على هذا الموقف (!) بأن يلجأ هو بدوره إلى الاستشهاد بالنصوص لتأييد وجهة نظره الخاصة.. أن الفكر

(١) مذبحة التراث، ص ١١٨.
(٢) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، ص ١٥٦.
(٣) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٥
(٥) المرجع السابق، ص ١٥٣.

الفلسفي، حين يجد نفسه مضطراً إلى التخلي عن طريقته الخاصة في البحث، وأعني بها طريقة مناقشة المسلمات مهما كانت أساسية، يلجأ إلى ممارسة فاعليته بشروط الطرف الآخر وعلى أرض الطرف الآخر، فلا يعود مرتكزاً على المنطق الداخلي لحجَجُه العقلية (!) وإنما يجادل في المسائل الدينية من داخل النصوص ذاتها مع تأويلها عقليا »[1].

فاللجوء إلى أي نص، يستطيع «العلماني» ملئه بما يشاء من حججه المدعوه «عقلية» لمعارضة الحجة القاهرة هو الوسيلة الأكثر بروزاً وانتشاراً في عالم العلمانية المتسترة بالتفكير الإسلامي والاجتهاد الإسلامي وادعاء الإيمان بثوابت الإسلام!! فإذا أعوزهم الدليل وغلبتهم الحجة الإسلامية فإنهم غالباً ما يلجأون إلى الطعن واللعن.. والتهديد والوشاية.. والأكاذيب وخداع أكبر مما كان!

إنَّ حضور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ويقظة مفكريه وعلمائه، وتنامي الفكر والشعور الإسلامي لهو عائق في عملية الهدم المباشر ما أدى إلى سلوك أغلب العلمانيين كما أشار د. فؤاد زكريا طريق التخفي داخل الفكر الإسلامي والتستر داخل حصونه لإعمال الهدم وتمزيق الإسلام من داخل الأسوار!

(١) المرجع السابق، ص ١١٥. وضرب ص ١٥٧مثلا على اصحاب هذا الموقف بمحمد احمد خلف الله، ومحمد عمارة وخالد محمد خالد (طبعا قبل هدايتهما)، والمدهش أن عمارة واجه زكريا فيما بعد في مناظرات عديدة.

وفي هذا السياق نعرض كلاماً للمسيري عن جاك دريدا اليهودي واتجاهه التفكيكي: «وهذا يفعله أيضاً بعض مؤرخي الأفكار في الغرب، خاصة سوزان هاندلمان.. التى ترى أن المثقف اليهودي الذي يحاول تحطيم النص المقدس لجأ للخديعة بدلاً من المواجهة السافرة...فلم يعلن اليهودي رفضه للحضارة الغربية، بل زعم أنه سيحاول تفسير نصوصها الأساسية تفسيراً جديداً، ولكن تفسيره كان في واقع الأمر تفكيكاً لهذه النصوص وتقويضا لها، أي إنه ألبس هرطوقيته لبوس الهرمنيوطيقا واستخدام آلياتها...إنها فرض اللامعنى بوصفه المعنى، وفرض الظلام بوصفه النور»، الحداثة وما بعد الحداثة للمسيري وفتحي التريكي، دار الفكر، ص ١٤٠.

إنَّ علاقة الفلسفة بالمسيحية المزيفة في الغرب أدت إلى تطاحنهما مما أدى إلى انهيار هذه المسيحية، الشيء الذي جر هذه الفلسفة الغربية إلى إعلانات حاقدة مثل قول نيتشه «اللوطي!» «إن الله قد مات»، والمدهش أن نيتشه كما قال الدكتور المسيري جعل من نفسه إلها: «وقد قال نيتشه الذي كان قد مكث في مصحة عقلية مدة قصيرة: «إذا كان هناك إله، فماذا أكون أنا إذن»، أي أنه يطالب بتأليه الإنسان. ولكن، حينما يتأله الإنسان ويظهر السوبرمان، فإن العالم في الواقع يصبح بلا معنى... ويظل العالم مفتقراً إلى المعنى»[2]، ونيتشه كما يقول د. فؤاد زكريا «أنه يُبرِّر الشذوذ.. تبريراً يجعل منه ظاهرة سليمة»[3].

إن قول نيتشه هو تطور في الفكر المادي سيؤدي كما قلنا، فيما بعد، على لسان فوكو، إلى إعلان «موت الإنسان»، يقول د. فؤاد زكريا: «نجد تطورات هائلة تطرأ على المفاهيم الدينية الرئيسية في ضوء النظريات العلمية الهامة كنظرية التطور والتحليل النفسي والنسبية، (!)»[4].

أصبحت هذه النظريات هي المبادئ الفلسفية التي قادت بعد ذلك البحث الفلسفي العلمي

(٢) العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، للمسيري، دار الشروق، ج١ ص ١٧٨.

(٣) نيتشه، للدكتور فؤاد زكريا، ص ٤٦، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٤. وذكر *المسيري أن فوكو الفيلسوف الفرنسي كان شاذاً جنسياً: «فإذا كان المرء ذكراً فيمكنه أن يمارس الجنس مع ذكر مثله... مثل فوكو الفيلسوف الفرنسي مثلاً...ويقال إن فيلسوف النفعية جريمي بنتام كان يحب ملاعبة القرود بطريقة جنسية»، العلمانية الشاملة ج١ ص ٢٥٧. وهناك في الغرب من: «يحاول أن تُجرى له عملية جراحية ليصبح من الجنس الآخر(والعكس بالعكس)... المساواة تحت رايات الحداثة تصل إلى درجة إنكار الأصل والمركز تماما!» العلمانية الشاملة ج١ ص ٢٥٧.* ويقول أيضاً: «وقد صرح فوكو وكان شاذاً جنسياً، يمارس السادية/المازوكية، ويتردد على عاصمة الشذوذ الجنسي في العالم (سان فرانسسكو)، أن لحظة الإنعتاق الوحيدة التي كان يشعر بها، هي لحظة ممارسته الجنس على الطريقة السادية المازوكية..إذ لا يبقى في العالم سوى جهازه العصبى وخلاياه وصيرورته الكاملة»، الحداثة ومابعد الحداثة، للمسيري وفتحي التريكي، ص٩١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٧.

العلمـاني إلى الهاويـة!، فلـم يـصر البحـث العلمـي مجـرداً مـن الهـوى والفلـسفة (وراس المـال!)، وإنمـا خـضع لها تماماً، مـع محاولـة الـضمير الغربـي شـرعنة أنواع من المقاومة.

وكمـا اقتنعـت الجمـاهير الغربيـة اليوم بما تـدعي الفلـسفة أنـه مـن نتـائج البحـث العلمـي الـدؤوب مـن الإلحـاد واعتبـار الأسـرة شـيء بـدائي لا يجـوز أن يثبـت وغـير ذلـك مـن مزعومـات تُنْسب للبحـث العلمـي وهـو بـريء منهـا، فقـد اقتنعـت الجمـاهير المسيحية (إنتهـى أغلبهـا إلى الإلحـاد والكفـر)، بنتـائج نظريـة دارون الـتي قالـت بـأن أصـل الإنسان حيـوان، مـع نفـي حقيقـة الخلـق الـدقيق! وذلـك بعـد أن وقفـت في بـادئ الأمـر في جانـب الكنيـسة ضـد نظريـة دارون لكنهـا مـا لبثـت أن غـيرت موقفهـا غـضباً مـن الكنيـسة الطاغيـة.. وفرحت بالانطلاق والتحرر.. ولو في إهاب الحيوان!

وأصـبح «التطـور» الـدارويني الـذي لـبس مـسحة العلـم هـو بداية تغيير كـل شـيء تحت مسمى «العلم» فأخـذ التحليـل النفسي لفرويـد «حيوانيـة الإنسان» مـن دارون وأضــاف أن هــذا الإنــسان الحيـوان الغـارق في الحيوانيـة دوافعـه كلـها جنـسية فقـال بـأن الطعـام جـنس والـشراب جـنس والنـوم جـنس والـصحو جـنس والتبـول والتـبرز جـنس والرضـاعة جـنس ومـص الإبهـام جـنس والنـشاط الفكـري والنفـسي كلـه نـابع مـن هـذه الفوهـة الجنـسية.فجعـل الحيـاة كلـها تنبعـث في هـذا «الجـنس» حتـى الـدين والأخـلاق[1]! «إنَّ أحـداً لم يلـوث الإنـسان بمقـدار مـا لوثـه فرويـد» حـين أصـر علـى تفـسير كـل نـشاطه بالتفـسير الجنـسي.. المغـرق في الحيوانية..

«أسـطورته الكـبرى الـتي جعلـها المحـور الرئيـسي لكـل نظرياتـه.. أسـطورة العـشق الجنـسي لـلأم، أخـذها - باعترافـه في كتابـه] & Totem Toboo مـن مثـال أورده دارون مـن عـالم البقـر! ففـي عـالم البقـر تهـيج الـثيران في موسـم الإخـصاب، فتقتـل أباهـا الـشيخ ثـم تقتتـل فيمـا بينهـا علـى الأم، كـل يريـد الفـوز بهـا لنفـسه، فتمـوت الـثيران الـضعيفة أو تخـور قواهـا ممـا تنـزف مـن الـدم، ويبقـى الثـور الأقـوى، يفـوز وحـده بـالأم، ويلـبي معهـا داعـي «الجنس»!

وفرويـد.. في بـساطة.. بـلا تحـرج ولا تـأثم.. ولا تأنيـب ضـمير.. ينقـل هـذه الظـاهرة الحيوانيـة إلى عـالم الإنـسان!.. وينـسبها إلى البـشرية الأولى، كأنمـا قـد شـهد مولـدها وعـاين تحركاتهـا[2] وسـجل مـا جـرى لها من الأحداث!

ويغفـل في بـساطة.. بـلا تحـرج ولا تـأثم ولا تأنيـب ضـمير.. أن بعـض الحيوانـات ذاتهـا يـأبى الولـد منهـا أن يطـأ أمـه ولـو دُفـع إلى ذلـك دفعـاً وعوقـب علـى الامتنـاع بالـضرب الألـيم، ثـم لا يكتفـي بـأن تكـون تلـك اللوثـة المجنونـة قـد أصـابت البـشرية الأولى مـرة.. بـل يصر على تلويث الأجيال البشرية كلها.

أمـا «القـيم».. فهـي «الكبـت» لـذلك الجـنس! هـي الوقـوف في طريـق «النمـو الحـر للطاقـة الجنـسية»[3]! - الـتي يحبـذها فرويـد - المتـسمة «بطـابع القـسوة حتـى في صـورتها الطبيعيـة العاديـة»[4] هـي الـتي ينـشأ

(١) استقذر«الدين والأخلاق» وادعى أن التسامي نوع من الشذوذ! كما في كتابه « Three Contributions to the sexuel theory» ص ٨٢. وفي كتابه « The ego & the id» ص ٨٠ يقول «إنَّ الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى في درجاتها الطبيعية العادية»!! انظر التطور والثبات، ص ١٩، ٢٠، ودراسات في النفس الإنسانية، ص ١٧٤، ٢٠٠، ٣٦١.

(٢) قال تعالى ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ وتنطبق الآية على شياطين الإنس والجن.

(٣) يقول في كتابه Three Contribution ص ٨٥ «إن الحضارة تتعارض مع النمو الحر للطاقة الجنسية»!

(٤) وفي كتابه The ego & the id ص ٨٠ يقوا «إن الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى في درجاتها الطبيعية العادية»، انظر التطور والثبات في حياة البشر، ص ٥١.

عنها القلق والإضراب والعقد النفسية والانحراف والشذوذ»[1].

إذن، فليتحرر الناس من القيم التي تحيل حياة الناس إلى جحيم ولينطلقوا بفلسفة فرويد كما انطلقوا في الغرب! - إلى السعار الجنسي، ولتكن العلاقات الشاذة هي الأصل، ولتزول البشرية التقليدية ولتكون بشرية التهجين العلمانية!

هذا النداء هو نداء المذاهب المادية المغموسة في حمأة الحيوانية ومستنقع البهيمية ونحن نرى اليوم، ونحن نعيش في الغرب، أن الحيوانية هي الأصل والإنسانية كما نعرفها في عالم الدين هي في فرع النسيان!

إنَّ مذهب «السببية» الذي غيَّر من مفاهيم الألوهية والوحي في الغرب هو مذهب عقلي يتجه إلى إزالة الله وما فوق الطبيعية من الكون كما يقول «جون برنتون» ويقول أيضاً: «إنَّ السببية تهدم كل ما بنته الخرافات والإلهامات والمعتقدات الخاطئة في هذا العالم» (يقصد المعتقدات الدينية) ثم يقول: «الإله في عرف نيوتن أشبه بصانع الساعة، ولكن صانع هذه الساعة الكونية - ونعني بها الكون - لم يلبث أن شد على رباطها إلى الأبد.. وإنه ليبدوا أنه ليس ثمة داع أو فائدة من الصلاة إلى إله صانع هذه الساعة الكونية، الذي لا يستطيع - إذا ما أراد - التدخل في شئون عمله»[2].

هذا هو التعديل الذي طرا على مفاهيم الألوهية والوحي والبعث في عالم الغرب فأفسده وأورده مورداً مهلكاً، وهو التعديل الذي يطالب به د. فؤاد زكريا لولا استحالته في المجتمعات الإسلامية، للظروف، للألف قيد وقيد !!

فيقول: «هذا النوع من التعديل في المفاهيم الرئيسية يستحيل تصوره في مجتمعنا، بل إن محاولة كهذه تدان بشدة وتعرض صاحبها - ونحن في الربع الأخير من القرن العشرين - لأخطار معنوية ومادية شديدة»[3].

ولذلك فهو وإن كان قد سلك - نظرياً فقط! - طريق الفلسفة معرضاً عن لعبة النصوص، التي ستورطه في هيمنتها وهو ما يستكبر عنه ويأنف منه! فإنه يعذر العلمانيين الذين اتخذوا طريق «التلاعب بالنصوص الإسلامية» واختراق الأسوار والهدم من الداخل لوجود ألف قيد وقيد، أشياء لم توجد بهذه الصورة الصلبة في ظروف أسياده الغربيون اللهم إلا في الماضي البعيد!

لقد قام البعض وتجرأ وقدح في الوحي القرآني وقام بعملية نقد استعار أدواتها من المستشرقين وفلاسفة المذاهب الحديثة، لكن هذا البعض قليل إذا ما قارناه بالذين يستبعدون «الوحي والنبوة» من النقد الذي يسمونه «النقد اللاهوتي» يستبعدون هذا النوع من النقد لعدم توفر ظروفه!!

---

(1) دراسات في النفس الإنسانية، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(2) جون برنتون، منشأ الفكر الحديث، ترجمة عبد الرحمن مراد ص ٢٧ نقلاً عن حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص ٥٧، ٥٨.

لقد درس المسلمون ما امتدت إليه عقولهم من الكون وتعرفوا على بعض أسراره في حضارتهم واكتشفوا، أن هناك سبباً لكل شيء يحدث في الكون من نور وظلام وكسوف وخوف، ورياح ومطر، وجدب وخصب وزيادة ونقص... إلخ، ولكن اكتشاف «السبب الظاهر» لم يكن فتنة لهم كما كان بالنسبة لنيوتن ومن بعده العلماء! فلم يجعلوه بديلاً عن السبب الحقيقي (قلت: موجب الأسباب وخالقها وهو سببها كلها)، وهو الله سبحانه وتعالى، فلم يستغنوا به عن الله ولم يتصوروا أن له حتمية تقيد مشيئة الله الطليقة بحيث =

يعجز سبحانه عن التصرف في الكون بما يشاء، كما توهم نيوتن وغيره»، مذاهب فكرية معاصرة، ص ٢٥١.

(3) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، ص ١٥٧.

٧- ثورات الخوارج
الخروج على والي الكوفة المغيرة بن شعبة

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

تحدثنا في الحلقة الماضية عن الثورات التي قام بها الخوارج في أعقاب الصلح الذي تمّ بين الحسن بن علي، ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، في عام ٤١هـ، والذي أُطلق عليه اسم «عام الجماعة»، لِما ترتب عليه من اجتماع كلمة الأمة على خليفةٍ واحد، وعودة الوفاق إلى صفوفها بعد أعوام من الخلاف.

فالخوارج –بدلاً من أن يكونوا في صفّ الأمة- اختاروا طريق الشقاق، وسرعان ما استأنفوا تمرّدهم وحركاتهم التخريبية على الخليفة الجديد، معاوية، رضي الله عنه، دون أن يعطوا المسلمين فرصة لالتقاط أنفاسهم، وتجاوز آثار الحروب والخلافات، وهو الأمر الذي سار عليه الخوارج طيلة مسيرتهم الهدّامة.

وسيُلاحَظ - ابتداءً من الآن- أنه بعد مغادرة معاوية الكوفة إلى الشام بعد تحقيق الصلح مع الحسن، فإن عبء مقاومة الخوارج، سيقع بشكل أساسي على المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه، الذي عيّنه معاوية، رضي الله عنه، واليًا على الكوفة، حيث تركز نشاط الخوارج في هذه الولاية، إضافة إلى البصرة، التي أصبح عبد الله بن عامر واليًا عليها.

كما سيُلاحظ أن حنكة المغيرة[1] سيكون لها دور كبير في التصدّي للخوارج والقضاء على ثوراتهم، رغم أنه كان يغضّ الطرف عن الخوارج الذين لم يحملوا السلاح في وجه الدولة، وطالما بقي الخلاف معهم في إطاره الفكري، فقد كان يؤتى فيقال له: إن فلانًا يرى رأي الشيعة، وفلانًا يرى رأي الخوارج، فيقول: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيحكم الله بين عباده»[2].

أما حاملو السلاح بوجه الدولة والمسلمين فكان للمغيرة معهم منهج آخر، يقوم على الشدّة والحسم بعد إبداء النصح والإعذار، في انسجامٍ مع سياسة معاوية «فللحلم موضع، وللسيف آخر»[3]، ويتضح ذلك من قول المغيرة للقائد الذي كلّفه بمقاتلة الخوارج: «يا معقل بن قيس، إني قد بعثتُ معك فرسان أهل المصر، أمرت بهم فانتخبوا انتخابا، فسِر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا

(*) كاتب أردني.

(١) ذكره ابن كثير في وفيات سنة ٥٠هـ، فقال: «كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها، أسلم عام الخندق...، وشهد الحديبية، وكان واقفاً يوم الصلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلتاً. وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب فهدما اللاّت،... وبعثه الصدّيق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذ. وقيل: بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه.
وشهد القادسية، وولاّه عمر فتوحاً كثيرة، منها همذان وميسان، وهو الذي كان رسولَ سعدٍ إلى رستم، فكلّمه بذلك الكلام البليغ، فاستنابه عمر على البصرة. فلما شُهد عليه بالزنا ولم يثبت عليه عزله عنها وولاه الكوفة، واستمر به عثمان حيناً، ثم عزله، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين فلحق بمعاوية، فلما قُتل عليٌّ وصالَح الحسن معاوية ودخل الكوفة، ولاّه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور. انظر: البداية والنهاية، ص ١٥٨٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤٢هـ.

(٣) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١٢١.

جماعتنا، وشهدوا عليها بالكفر، فادْعهم إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكفف عنهم، وإن هم لم يفعلوا فناجزهم واستعِن بالله عليهم»[1].

وبعد الثورات التي تحدثنا عنها في العدد الماضي،

والتي قادها فروة بن نوفل، وابن أبي الحوساء، وحوثرة الأسدي، وتم القضاء عليها، استأنف الخوارج تمرّدهم، بل تسارعت ثوراتهم وتناسلت، ذلك أن الأفهام السقيمة التي كفّرت الصحابة والمسلمين لم تتغير.

خروج فروة بن نوفل للمرة الثانية

مرّ بنا من قبل أن **فروة بن نوفل** قاد أول ثورة للخوارج ضد الخليفة معاوية فور انعقاد الصلح بينه وبين الحسن، إلاّ أن فروة لم يكمل قيادته للخوارج، لأن قبيلته «أشجع» قامت بإرجاعه قهرا من صفوف الخوارج، وآلت القيادة إلى عبد الله بن أبي الحوساء، لكنّ فروة عاد فثار في الكوفة خلال ولاية المغيرة عليها، فأرسل إليه المغيرة جندا فقتلوه، وقضوا على حركته.

وإذا كانت محاصرة «أشجع» لفروة لم تفلح في منعه من الخروج، إلاّ أنها ساهمت في إبعاد أنصاره عنه، ممّا جعل تحرّكه صغيرا، أمكن للمغيرة القضاء عليه بسهولة[2].

خروج شبيب بن بجرة الأشجعي

و**شبيب** هذا هو الذي شارك عبدَ الرحمن بن ملجم في قتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعندما دخل معاويةُ الكوفة أتاه شبيب محاولاً التقرب إليه فقال: أنا وابن ملجم قتلنا عليًا، فوثب معاوية من مجلسه مذعورًا حتى دخل منزله، وبعث إلى قبيلة أشجع وقال: لئن رأيتُ شبيبًا أو بلغني أنه ببابي لأهلكنّكم. أخرِجوه عن بلدكم. وهذا يكشف عن عدم رضى معاوية بقتل عليّ، رضي الله عنهما، بخلاف ما يزعم الشيعة.

فلما ولي المغيرة الكوفة خرج عليه شبيب قريب الكوفة، فبعث إليه المغيرة جندا فاقتتلوا فقُتل شبيبٌ وأصحابه[3].

خروج معين بن عبد الله

بلغ المغيرة - وكان له عيون ينقلون له الأخبار- أن **معين بن عبد الله** يريد الخروج، فأخذه وحبسه، وبعث إلى معاوية يخبره أمرَه فكتب إليه: إن شهِد أني خليفة فخلّ سبيله. فأحضَره المغيرة وقال له: أتشهد أن معاوية خليفة وأنه أمير المؤمنين؟ فرفض الإقرار بذلك، وقال: أشهد أن الله عز وجل حقّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور. فأُمر به فقُتل. ثم قام الخوارج بعد ذلك باغتيال قاتِله[4]. وهذا يؤكد أن سياسة معاوية كانت التسامح مع الخوارج الذين لا يشكلون تهديدا لاستقرار الدولة.

خروج أبي مريم

وخرج **أبو مريم**، وهو مولى بني الحارث بن كعب، ومعه امرأتان هما: قطام وكحيلة، وكان أول من أخرج معه النساء، فعاب ذلك عليه أحد قادة الخوارج، فقال: قد قاتل النساء مع رسول الله، ﷺ، ومع المسلمين بالشام، وسأردّهما، فردّهما، فوجه إليه المغيرة جابرًا البجلي فقاتله، فقُتل أبو مريم وأصحابه[5].

خروج أبي ليلى

أما **أبو ليلى** فقد جاء مسجد الكوفة، فحكّم بأعلى صوته (أي كرّر عبارة: لا حُكم إلاّ لله، التي اشتُهر بها الخوارج) فتبعه ثلاثون رجلًا من الموالي، فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس، فقتله في سواد الكوفة، سنة ٤١، وقيل ٤٢هـ[6].

ويلاحَظ أن حركات الخوارج السابقة كانت تقتصر على مجموعات صغيرة، لم تكلّف المغيرة إلاّ القليل من الجهد للقضاء عليها[7]، بما يوحي بأنهم

(١) د. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٢) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ، ص ٦١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، بتصرّف، أحداث سنة ٤١هـ.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، بتصرّف، أحداث سنة ٤١هـ.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.

(٦) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٧.

(٧) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٧.

كانوا يستهدفون إزعاج الدولة الأموية وإضعافها دون أن يكون لهم أمل في القضاء عليها[١].

خروج بقايا خوارج النهروان

لكن الأمر سيتغير بعد ذلك، وستشهد الأيام القادمة تحركا كبيرا للخوارج الذين كان عليٌّ، رضي الله عنه، قد عفا عنهم يوم النهروان، «وقد عوفي جرحاهم وثابت إليهم قواهم، فلما بلغهم مقتل عليّ ترحّموا على قاتله ابن ملجم، وقال قائلهم: لا يقطع الله يداً علت قذال[٢] عليّ بالسيف، وجعلوا يحمدون الله على قتل عليّ، ثم عزموا على الخروج على الناس، وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون»[٣]. وهذا يكشف عن عمق الجهل والانحراف عند الخوارج، فكيف يفرحون بقتل أحد الخلفاء الراشدين، الذين جعل النبي ﷺ سنّتهم متبعة! وهو أحد المبشرين بالجنة، لكنه الجهل والانحراف مهما تلبّسا بلبوس الدين.

وقد تزعّم هذه الجماعة في البداية من الخوارج **حيان بن ظبيان السلمي**، الذي كان قد أصيب في النهروان، وشُفي من جروحه، فخرج في بضعة عشر رجلا من أصحابه وتوجهوا إلى مدينة الري في بلاد فارس، وظلوا هناك إلى أن جاءهم نعي عليّ، فعادوا إلى الكوفة مستغلّين تسامح المغيرة مع الذين لا يحملون السلاح، فوجدوا في ذلك الجو متنفسّا لهم، فأخذوا يجتمعون ويتذاكرون إخوانهم من الخوارج الذين قُتلوا يوم النهروان[٤].

أخذ هؤلاء يجتمعون في بيت حيّان، فيقرأون القرآن، ويتداولون أمورهم فيما بينهم، وأمّروا عليهم المستورد بن علّفة، ولقّبوه بأمير المؤمنين، وتواعدوا للخروج في غرّة شعبان من سنة ٤٣هـ، ولمّا علم المغيرة بعزمهم على الخروج أرسل رئيس شرطته إليهم، فاعتقل بعض عناصرهم، وأودعهم السجن، الذي بقوا فيه قرابة العام، في حين أفلت المستورد من الاعتقال، وإزاء التحرّك المرتقب للخوارج، أدرك المغيرة خطورة الأمر، فجمع رؤساء القبائل، وطلب منهم المساهمة في التصدّي لهؤلاء الخوارج، وأنذرهم قائلا: «فليكفني كل امرئ من الرؤساء قومه، وإلاّ فوالذي لا إله غيره لأتحولنّ عمّا كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون، فلا يلُم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر»[٥]، وإشراك المجتمع في مقاومة الخوارج سياسة حكيمة تفتقدها كثير من السياسات المعاصرة.

واجتمع من الخوارج ٣٠٠ – ٤٠٠ شخص، برئاسة المستورد، «فجهّز إليهم المغيرة بن شعبة جندا عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف»[٦]، وحدثت بين الفريقين معركة حاسمة، قُتل فيها القائدا الجيشين، وانتهت بهزيمة الخوارج، «ولم ينجُ منهم إلاّ بضعة رجال فرّوا من أرض المعركة»[٧].

المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية.

٣- د. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٤- د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥- د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، أيار (مايو) ٢٠٠٧م.

(١) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١٣٠.
(٢) ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٣.
(٤) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٧.
(٥) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٨، نقلا عن تاريخ الطبري.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٣.
(٧) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٩.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة ٣- التجربة الشيعية الخليجية

بوزيدي يحيى(*)– خاص بالراصد

تختلف أوضاع شيعة الخليج العربي من دولة إلى أخرى؛ نظرا لتباين الأنظمة السياسية فيها، والتي رغم أنها تتسم بكونها ملكية إلا أنه يوجد قدر من التمايز بينها، خاصة فيما يتعلق بالمؤسسة التشريعية والظاهرة الحزبية التي تبرز بقوة في الحالتين البحرينية والكويتية، أما السعودية فرغم عدم وجود أحزاب شيعية إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور حراك شيعي وممثلين لهم بأشكال متعددة.

وعند رصد التجربة الشيعية الخليجية مجتمعة فإن المحطة التي تؤرخ لها بشكل أكبر تبدأ مع الثورة الإيرانية في ١٩٧٩، التي أحدثت حالة من التثوير للمجتمعات الشيعية، ونظرا للأهمية الجيوسياسية للخليج العربي فإن الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة تزاوج فيها المحلي بالإقليمي بالدولي، لذلك اقترنت التغيرات في طبيعة الحراك الشيعي بأحداث مهمة على غرار حروب الخليج الثلاث والانتفاضات الشعبية العربية في ٢٠١١.

المرحلة الأولى: ما قبل ١٩٧٩

سادت الأفكار اليسارية والقومية المجتمع الشيعي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، عندما كانت دول الخليج في مواجهة مع اليساريين والقوميين، وتحديدا التيار الناصري، نظرا للدور الذي لعبه جمال عبد الناصر بشكل خاص، والقوميون بشكل عام، في الترويج لفكرة الوحدة العربية، وتركّز الصراع حول ثنائية «الجمهوريات والملكيّات»، فقد كانت الدعاية الماركسية أقل استقطابا لشيعة السعودية من التيار القومي الناصري الذي راج سوقه في الوسط الشيعي المثقف[1]، فلم تلق أفكار عبد الناصر القومية شعبية في المملكة إلا في البيئة الشيعية، ولم يُبنَ تنظيم ناصري إلا بأيد شيعية وفي وسط شيعي بدرجة أساسية.

وحين زار عبد الناصر مدينة الدمام في ١٩٥٦، تقاطرت الجماهير بعشرات الألوف لتحيّته، وللتنديد بالحكم السعودي نفسه، ولم يكن مدهشا للحكومة أن تكون قاعدة الظهران العسكرية منطلقا لمحاولة انقلاب فاشل ضد نظام الحكم في ١٩٦٩، كما أن حزب العمل الاشتراكي والحزب الشيوعي السعودي – الذي خلف جبهة التحرير الوطني- كان معظم كوادرهما وقيادتهما من الشيعة. بل إن الشيعة شاركوا في وقت مبكر في تأسيس جبهة وطنية حاول الأمير طلال بن عبد العزيز في بداية الستينيات أن يتخذها وسيلة ضاغطة لإصلاح النظام[2].

وفي الكويت؛ منذ الثلاثينيات من القرن العشرين وحتى انبثاق الثورة في إيران لم يشكل الشيعة جزءا من المعارضة السياسية، خلافا للشيعة في البحرين

(*) باحث وكاتب جزائري.

(١) حمزة الحسن، الشيعة في المملكة العربية السعودية: العهد السعودي ١٩١٣- ١٩٩١، الجزء الثاني، بيروت: دار الساقي، ط ١، ٢٠١٠، ص ٤٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢٥.

والسعودية، الذين كانوا جزءا أساسيا من المعارضة السياسية لنظام الحكم. كما لم يجد التيار القومي امتدادا له هناك نظرا لانحدار بعض الشيعة من أصول إيرانية وموقف القوميين المعارض لهم، وتنديده بالهجرة الإيرانية في الكويت التي استهدفت -من وجهة نظره- تغيير التركيبة الديمغرافية للخليج العربي بشكل عام، لذلك انحاز الشيعة إلى جانب السلطة[١].

المرحلة الثانية: من ١٩٧٩ إلى ١٩٩١

اندفع الشيعة عقب ١٩٧٩ وراء الأطروحة الإيرانية وسعوا إلى تنفيذها بحذافيرها، حيث تحولت المفاهيم التي جاء بها الخميني إلى مسلّمات لا يجادل فيها أحد[٢]، فقد شعر المواطنون الشيعة في منطقة الخليج عموما بعمقهم الروحي المتأتي من انتصار ثورة إسلامية بأركان مذهبية[٣] خلقت مدّا ثوريا في أوساط الجماعات المذهبية المماثلة والقريبة، وهي تبقى وراء بروز إعادة إحياء قوة الإسلام السياسي الشيعي في دول الخليج العربي[٤].

وبذلك قامت الأقليات الشيعية بتنظيم صفوفها في تنظيمات سياسية طائفية متخذة من النموذج الأصولي الثوري في إيران مثالا لها لمعارضة الحكم الأسروي[٥]، فنسخت الجماعات الشيعية من التجربة الإيرانية الأفكار والاستراتيجيات، ومعايير الصداقة والعداوة، وحتى الهموم والمواقف اليومية، وأحيانا المصطلحات، من ذلك موقف الجماعات الشيعية مثلا من النظام الدولي ومؤسساته، وكذا العلاقة مع دول العالم[٦].

ولم يقف نظام الجمهورية الإسلامية مكتوف الأيدي أو يكتفِ بتشجيع تلك الحركات فقط، بل عمل على فتح فروع لها ودعمها بمختلف الوسائل والتنسيق بينها لمدّ نفوذه في المنطقة ومحاولة تأسيس أنظمة شبيهة بنظامه وخاضعة لسلطته تمهيدا لظهور المهدي المنتظر؛ حيث وجّه الخميني عدة دعوات للشيعة في المنطقة الشرقية من السعودية، يدعوهم فيها إلى الثورة وإعلان الحكومة الإسلامية، لأن الحكم الوراثي، كما صرّح بذلك «يتعارض مع الإسلام»[٧].

وحصلت الأحزاب الدينية -في المناطق الشيعية- على الكثير من الدعم المادي والبشري من قبل الجمهورية لم يحصل عليه أي تنظيم سياسي آخر، وفي مقدمة هذه التنظيمات الدينية «منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية» التي تعتبر التنظيم السياسي الأساس للشيعة[٨].

وتشكلت في البحرين بين عامي ١٩٧٩- ١٩٨٠ تنظيمات إسلامية شيعية، مثل حركة الشيخ محمد علي العكري والشيخ علي العصفور، كما تأسست «حركة الشهداء الإسلامية» بقيادة جمال الدين العصفور، و«حركة الوحدة الإسلامية» بقيادة عبد العظيم المهتدي البحراني، و«حركة التحرير الوطني الإسلامي في البحرين» و«الجماعة الإسلامية» و«حركة الشباب المسلم البحريني»[٩].

كما برز في الأوساط الشيعية الكويتية تيار إسلامي ثوري متأثر بالثورة الإيرانية، واستطاع أن يؤثّر في توجهات الحركة الإسلامية في الكويت، فقد شهد البلد في الثمانينيات موجات من أعمال العنف السياسي، والمطالبة بالإطاحة بنظام الحكم في الكويت وإقامة جمهورية إسلامية على النمط الإيراني، وجرت محاولة فاشلة لاغتيال أمير الكويت سنة ١٩٨٥، فضلا عن القيام بتفجيرات في السنة التالية، ونسبت هذه الأعمال لتنظيمات شيعية عديدة غير أن الاتهامات اتجهت نحو حزب الله الكويتي[١٠].

وأهم ملامح هذه المرحلة تمثلت في تصدّر علماء الدين زعامة التنظيمات الجديدة، فبينما كان التصور العام للنخبة الدينية يميل إلى أن التمرد لا يقود سوى لتعميق

---

(١) فلاح عبد الله المديرس، الحركة الشيعية في الكويت، الكويت: دار قرطاس للنشر، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٩.
(٢) توفيق السيف، أن تكون شيعيا في السعودية: إشكالات المواطنة والهوية في مجتمع تقليدي، ط ١، ٢٠١٣، ص ٦٩.
(٣) غسان الشهابي، البحرين: الوتر المشدود ما بين ضفتي الخليج، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٦/٠٢/١٨، ص ٠٥
(٤) باقر سلمان النجار، الحركات الدينية في الخليج العربي، بيروت: دار الساقي، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٦٠.
(٥) فلاح المديرس، المرجع السابق، ص ٠٥.
(٦) توفيق السيف، المرجع السابق ص ٧٣.
(٧) هاشم عبد الرزاق الطائي، التيار الإسلامي في الخليج العربي: دراسة تاريخية، بيروت: الانتشار العربي، ص ١٧٧.
(٨) حزة الحسن، المرجع السابق، ص ٤٢٥.
(٩) هاشم الطائي، المرجع السابق، ص ١٧١.
(١٠) المرجع نفسه، ص ١٨٤.

التصدّعات الاجتماعية والمزيد من المشاكل، فضلا عن كونه غير مبرر أو مشروع من الناحية الدينية، أما بعد انتصار الثورة فقد تحوّل كل رجل دين إلى مشروع زعيم سياسي[1]، فأصبح الكلام في السياسة والتفكير في السياسة انشغالا يوميا لكل شيعي في المنطقة، وتحول المجتمع الشيعي من الميل إلى الانفعال والسلبية إلى مجتمع فاعل وطالب للمشاركة، وبدأ يفهم السياسة والسلطة كعالم متغير، يمكن أن تتولد فيه فرص جديرة بالاهتمام، بعدما بقي قرونا طويلة متحجرا على ثنائية الإمامة والغصب القديمة.

واهتم الحركيون الشيعة بإعادة تفسير التراث الديني على نحو يخدم أغراض الصراع السياسي ويسهم في تعبئة الجمهور[2]. ففي المنطقة الشرقية من السعودية توجه العديد من علماء الدين والشباب الشيعة للاطلاع على تجربة الثورة عن كثب، من خلال التحاقهم بالمدارس والمعاهد والحوزات الدينية في قُم وطهران، كما نظّمت الوفود لزيارة إيران وتقديم التهنئة للخميني وغيره من القيادات السياسية والدينية الإيرانية بمناسبة انتصار الثورة[3].

وفي البحرين كان لبعض علماء الدين، مثل هادي المدرسي، وجمال العصفور، وعباس الشاعر، وشبر علي الكوراني، وعبد العظيم المهتدي، ومحمد علي محفوظ، دور أساسي في توحيد التنظيمات الشيعية المؤيدة للثورة في إيران، في تنظيم واسع أطلق عليه «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين»[4].

وفي الكويت تأسس حزب الله - الكويت بعد قيام الثورة في إيران، على يد مجموعة من الشباب الشيعي الكويتي، الذين ينتمون إلى التيار الشيعي الثوري المتأثر بالثورة الإيرانية، وهؤلاء تلقوا تعليمهم في الحوزة العلمية في قم[5].

وعلى مستوى المواقف العابرة للحدود فقد كانت الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨) الحدث الأبرز حينها، وتماهت فيها المواقف الشيعية الخليجية مع الموقف الإيراني، فنظرا للعلاقة الوثيقة بين الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين وإيران، فقد اعتبرت الجبهة أن معركة إيران مع العراق هي معركتها، لذلك أرسلت مجموعات من المتطوعين من أعضائها للقتال إلى جانب القوات الإيرانية. كما تطابق موقف «منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية» في السعودية مع الموقف الإيراني الرسمي من الحرب بوصفها «حربا بين الإسلام والكفر» على حد تعبيرها.

لذلك نددت المنظمة بالمساعدات التي قدمتها الحكومة السعودية للعراق. وفي الكويت أثار الموقف الرسمي للحكومة من الحرب العراقية – الإيرانية سخط التنظيمات الشيعية، التي كانت تنظر إلى تلك الحرب على أنها «حرب بين الباطل والحق، وحرب بين الكفر والإيمان».

وتوجهت تلك التنظيمات بمشاعرها نحو إيران بوصفها المدافعة عن حقوقها الاجتماعية والعقائدية. وقد استغل النظام الإيراني هذا التعاطف والتأييد من لدن الشيعة، ليس في الكويت فحسب، بل في عموم الأقطار الخليجية، لتكوين قاعدة شعبية في الخليج مؤيدة لسياسته الخارجية في المنطقة[6]، وبذلك ساهمت الحرب العراقية الإيرانية في تعميق الانقسام الطائفي في الجزيرة والخليج العربي، وبدأ الشعور الطائفي يبرز بشكل واضح[7].

المرحلة الثالثة: من ١٩٩١ إلى ٢٠١١

شهد العقد الأخير من القرن العشرين حدثين مهمين تركا آثارهما على شيعة الخليج، تمثل أولهما في وفاة الخميني وصعود هاشمي رفسنجاني إلى سدة الرئاسة وانتهاجه سياسة براغماتية، والثاني في حرب الخليج الثانية نتيجة الاحتلال العراقي للكويت. ففي هذه المرحلة اتجه الإيرانيون نحو التركيز على الداخل مما دفع بالعديد من قادة المجموعات الشيعية إلى مراجعة متبنياتهم السياسية السابقة، وظهرت أولى صور التحول في مغادرة كثير منهم الأراضي الإيرانية إلى أوروبا بحثا

(١) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٦٩.
(٢) المرجع نفسه، ص ٧٠ - ٧١.
(٣) هاشم الطائي، المرجع السابق، ص ١٧٧.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٧٢.
(٥) فلاح المديرس، المرجع السابق، ص ٣١.

(٦) هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، المرجع السابق، ص ٢٥٣- ٢٥٤.
(٧) فلاح عبد الله المديرس، المرجع السابق، ص ٥٠.

عن فرص أكبر للتأثير في بلدانهم[1].

وترتب على ذلك تراجع الخطاب الثوري المطالِب بإسقاط الأنظمة وإقامة أخرى شيعية بديلة عنها؛ وانتهج الشيعة في مختلف دول الخليج خطابا سياسيا إصلاحيا ينطلق من الآليات السلمية في المطالبة بحقوقهم بتقديم المبادرات أو المشاركة في البرلمانات، وتكرّس ذلك أكثر في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

فمنذ ٢٠٠١ أصبحت مفاهيم «الوحدة الوطنية» و«الهوية الوطنية» و«الولاء للوطن» بين أكثر المفاهيم شيوعا في نقاشات الشيعة السعوديين[2]. وترجم ذلك في الواجهات السياسية التي ظهرت سواء كأحزاب سياسية في الدول التي تعتمد البرلمان والانتخابات مثل البحرين والكويت أو زعماء ممثلين له حتى وإن كانت لا تؤطرهم مؤسسات سياسية حزبية كما هو الحال مع حسن الصفار وتوفيق السيف وغيرهم في المملكة العربية السعودية، حيث حصل تحول في الثقافة السياسية للمجتمع الشيعي السعودي، فانتقل من حالة الانكفاء واعتزال السياسة قبل ١٩٧٩ إلى التمرد والفعالية الشديدة بين (١٩٧٩- ١٩٩٠) ثم الميل إلى البراغماتية بعد ١٩٩٠ وأخيرا البراغماتية السياسية بعد ٢٠٠٣[3].

وفي حرب الخليج الثانية أيّدت التنظيمات الشيعية حكوماتها الوطنية المعارضة للعراق، خاصة شيعة الكويت الذين قاوموا الاحتلال العراقي، الأمر الذي دفع لاحقا الحكومة للعفو عن أعضاء من حزب الله الكويتي، لكن هذا الموقف لا يمكن التأسيس عليه للحديث عن تحول في موقف النخب الشيعية وانعطافة في نظرتها السياسية، لأن الطرف الثاني في الحرب ليس شيعيا كما كان في حرب الخليج الأولى، وكما كان موقف النخب الشيعية العراقية، ممثلة في حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية المؤيدين لإيران والمعارضين لبلده فإن موقف النخب الشيعية في دول الخليج الأخرى لم يكن ليختلف كثيرا عمّا قامت به التنظيمات الشيعية العراقية.

(١) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٨.

يتأكد هذا التحليل من تتبّع السلوك السياسي للشيعة في هذه المرحلة إلى غاية ٢٠١١، ففي الحالة الكويتية التي تعتبر الأكثر تطورا في الممارسة السياسية البرلمانية لم تتجاوز الأطر الطائفية في النشاط السياسي، حيث انبثق «الائتلاف الإسلامي الوطني» كإطار سياسي يضم في صفوفه القوى السياسية والاجتماعية والدينية الشيعية على اختلاف توجهاتها السياسية[4]. وقد كان بعيدا عن القوى الإسلامية السنية وقريبا إلى «تجمع المنبر الديمقراطي الكويتي» ذي التوجه العلماني، خاصة أن المنبر يضم في عضويته عناصر من الشيعة غير المتدينين، الذين يحتلون مراكز قيادية في هيئته التنفيذية. وساهم «الائتلاف» في دعم مرشحي «المنبر» في الدوائر الانتخابية التي لا يوجد بها مرشحون للائتلاف أو مرشحون مدعومون منه بشكل رسمي[5].

وفي البحرين، برزت في المجال الشيعي بعد إقرار ميثاق العمل الوطني[6] الكثير من الجمعيات أو الأحزاب السياسية (الوفاق، وعْد، المنبر التقدمي، العمل الإسلامي، التجمع القومي، التجمع الوطني، الإخاء) وأهمها جمعية الوفاق الإسلامية الشيعية، التي تمثل الأغلبية في البرلمان البحريني (يشغل نوّابها ١٨ مقعدًا في البرلمان، وقد استقالوا خلال أزمة ٢٠١١) تليها جمعية العمل الإسلامي[7]. ونتج عن هذا اصطفاف طائفي بين السنة والشيعة يتجلى بشكل واضح في الحياة السياسية،

(٤) فلاح المديرس، المرجع السابق، ص ٤٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٢- ٤٣.

(٦) صدر في ١٥ فبراير ٢٠٠١، وتضمّن مبادئ عامة للإصلاح السياسي والتحوّل الديمقراطي، وحدّد نظام الحكم بـ «وراثي دستوري»، وأن الشعب مصدر السلطات الثلاث، وحصلت هذه المبادئ على تأييد ٩٨,٤٪ بنسبة مشاركة وصلت إلى ٩٠,٣٪ من البحرينيين. وكان الإعلان عن إجراء انتخابات برلمانية في أكتوبر ٢٠٠٢ من أهم ثمرات هذا الميثاق، ولكن وُجهت انتقادات للدستور الصادر بموجبه، أهمها أنه جاء مخالفا للمبادئ التي تضمنها بمنحه صلاحيات مطلقة للملك. لتفاصيل أكثر ينظر: وحدة تحليل السياسات، الحالة البحرينية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١١/٠٤/٠٢، على الرابط: http://www.dohainstitute.org/release/c1a13234-4e6c-46b5-9383-37d1f0b14dd9

(٧) شحاتة محمد ناصر، سياسة النظم الحاكمة في البحرين والكويت والسعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (٢٠٠٣- ٢٠٠٨): دراسة مقارنة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٠١.

فكما في الكويت التي نظامها قريب جدا من النظام البحريني فإن الكتل البرلمانية في البحرين تعبّر عن انتماءات هوياتية ممثلة في الطائفة بشكل عام، وهذا الانتماء هو المحدد الرئيسي لنشاط الكتل والموجه لبوصلة عملها، وعنصر الهوية في أضيق مستوياته هو من يوصل المترشحين إلى المقعد البرلماني، وهذا أحد مجالات الصراع في المجتمع[1].

ووجد المهتمون بالتحول الديمقراطي في قوة العامل الطائفي الديني في الحركة التي تنشد التغيير في البحرين أمرا يعيق التحول الديمقراطي في البلد، وطالبوا بضرورة أن تعيد الحركة طرح نفسها في مرحلة ما بعد الميثاق الوطني على أساس وطني سياسي واضح ومتوازن يضمن فعاليتها الداخلية ويقلل من معارضتها الخارجية بسبب الطائفية[2]، غير أن الواقع السياسي أثبت عكس ذلك، إذ لم تستطع القوى الشيعية تجاوز إطارها الطائفي مما أدى إلى تخندقات سياسية على أسس دينية، وحال دون الانتقال إلى مرحلة سياسية أفضل. كما تعد مشكلة القبلية من أبرز التحديات التي يثار حولها نقاش كثير بين النخب الخليجية للانتقال إلى الدولة[3] مع العلم أن هذه المشكلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمشكلة القبلية نظرا لكون كل قبيلة يسودها نفس المعتقد أو الانتماء الديني.

المرحلة الرابعة: ما بعد ٢٠١١

أولا: شيعة الخليج والانتفاضات العربية

لم تمر الانتفاضات العربية دون أن تترك آثارها على شيعة الخليج، ومما ميز هذه المرحلة عودة الخطاب الثوري من جديد، فبعد عقود من الإصلاح السياسي، التي برغم كل ما يشوبها من عثرات إلاّ أن الثابت فيها كان محاولة الإصلاح وفق الوسائل السلمية. غير أنه لما لاحت في أفق ٢٠١١ إمكانية تغيير الأنظمة نهائيا لم يتوانَ الشيعة عن استغلال هذه الفرصة والتراجع عن كل الخطوات التي قطعت باتجاه الإصلاح.

وكانت البحرين أهم بؤر الحراك الشيعي، وعلى عكس الحركات الاحتجاجية التي تحولت إلى ثورات شعبية في تونس ومصر، والتي تميزت بأنها «لا حركات اجتماعية»[4] فإن الاحتجاجات التي شهدتها البحرين هي حركات اجتماعية منظمة، حيث كان بارزا قيادتها من طرف المعارضة الشيعية ورفعها نفس المطالب السابقة بما في ذلك إسقاط النظام، حيث تحولت المطالب الإصلاحية إلى صراع على الشرعية بين النظام والمعارضة؛ حضر في أدنى مستوى على الأقل في العقل الباطن للمعارضة، الوسطية ممثلة في «الوفاق»، والمتطرفة ممثلة في حركة «شباب ١٤ فبراير»، والتي ترى وفق شهادة عددٍ مهم ممّن لهم صلة بها، أن شرعية النظام غير موجودة، حيث فقد شرعيته بسقوط الشهداء منذ ١٤ فبراير ٢٠١١[5].

وبدورها، عرفت المملكة العربية السعودية هي الأخرى محاولات لمحاكاة الحركات الاحتجاجية فيها من خلال الدعوات للتظاهر في البلد، غير أن تلك الدعوات لم يُستجب لها لأسباب عديدة ومختلفة ليس هذا موضعها، ولكن المنطقة الشرقية التي تقطنها أغلبية شيعية شهدت الكثير من المظاهرات، خاصة في بلدة العوامية، كان من أبرز رموزها رجل الديني الشيعي نمر النمر، وعلى غرار القوى الشيعية الأخرى كان الخطاب الشيعي في المنطقة الشيعية مؤيدا ومتضامنا مع نظيره في البحرين.

سلوك شيعة الخليج، خاصة في البحرين والسعودية في ٢٠١١ لم يختلف كثيرا عن سلوكهم سنة ١٩٧٩، والذي اتسم بطابعه العنفي، وبعد ١٩٩١ أقر الشيعة بارتكاب أخطاء في المرحلة السابقة، حيث تقر النخب الشيعية بوجود تطرف في الوسط الشيعي وتدعو إلى ضرورة الوقوف ضد كل مظاهر التقسيم الطائفي والمذهبي، لأن التقسيم لا يضرّ فقط الطرف الموجهة ضده، بل وحدة

---

(١) أحمد صدام الشابي وآخرون، مجلس التعاون لدول الخليج العربية قضايا الراهن وأسئلة المستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٤٨.

(٢) أسامة عبد الرحمان وآخرون، الخليج العربي والديمقراطية نحو رؤية مستقبلية لتعزيز مساعي الديمقراطية، الطبعة الثانية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص ٨٨.

(٣) لتفاصيل أكثر ينظر: محمد جواد رضا، صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي أزمات التنمية وتنمية الأزمات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٣، ٢٠٠٦.

(٤) هي عبارة عن نشاطات جماعية يقوم بها فاعلون غير جمعيين. لتفاصيل أكثر ينظر: رضوى عمار، نموذج اللا حركات الاجتماعية في تحليل سياسات الشارع، مجلة السياسة الدولية، على الرابط:
http://cutt.us/5wllf

(٥) إيمان رجب، دلالات استمرار العنف وعدم الاستقرار في البحرين، مجلة السياسة الدولية، ١٨ - ٤- ٢٠١٢، على الرابط:
http://cutt.us/xtf6n

الوطن والمواطنين، ويزيد من فرص الاحتراب الداخلي[١].

ولكن بعد ٢٠ سنة من العمل السياسي المطالِب بالحرية والمساواة تحت غطاء المواطنة تغير فجأة كأنه لم يحصل أي تطور ومراجعات، مما يدلل على أن ما حصل حينها لم ينبع من قناعات مبدئية قطعت فكريا وعمليا مع التطرف والعمل العنيف والمسلح، ولم يعدُ أن يكون تكيّفا مع الظروف الدولية التي فرضت عليهم. فإذا كانت كل هذه الفترة لم يترسخ فيها المبدأ الأساسي في الممارسة الديمقراطية وهو الاحتكام للوسائل السلمية في العمل السياسي فإن شعارات الحرية والمواطنة لا تعدو بذلك إلا أن تكون خطابا للمساومة على تحقيق أقصى قدر من المكاسب تعزز النفوذ وامتلاك وسائل القوة المالية واختراق السلطة السياسية ثم توظيف كل ذلك للانقضاض على الدولة إذا طرأ أي تحول في البيئة الخارجية أو الداخلية يسهّل ذلك.

وما يقطع بتكتيكية الخطاب الإصلاحي واستمرار النزوع الطائفي لشيعة الخليج عدم صدور أي تعليقات منهم ترفض التدخل في شؤونهم الداخلية واعتبار ما يحصل مع بلدانهم شأنا داخليا، فرغم كل التدخلات الأجنبية، خاصة الإيرانية منها، لم يتجرأ قادة الشيعة على توجيه انتقادات للمرشد الأعلى الإيراني وغيره من القادة الدينيين والسياسيين الطائفيين في المنطقة، على غرار زعيم التيار الصدري في العراق مقتدى الصدر الذي انتقد إرسال قوات درع الجزيرة إلى البحرين، معتبرا إياه قمعا لإرادة الشعب البحريني، فيما وَصفت عصائب أهل الحق ما يجري في البحرين بأنه محاولة لطمس التوجهات الشعبية بقوة السلاح[٢]، وأوصى محمود شاهرودي (الهاشمي) وهو مسؤول الجهاز القضائي الإيراني وأحد رموز الدولة الإيرانية، وبنفس الوقت المرجع الفقيه المعتمد والحصري لحزب الدعوة وزعيمه آنذاك نوري المالكي خلال زيارته لطهران بضرورة اهتمام الحكومة العراقية بدعم الحركات الشعبية في المنطقة وتشجيعها[٣].

ثانيا: تحديات العمل السياسي الشيعي في الخليج

إن عودة الخطاب الثوري والسعي إلى إسقاط الأنظمة يعيدان طرح إشكاليات علاقة شيعة الخليج بدولهم، وفي هذا المجال يبرز تحديان أساسيان مرتبطان ببعضهما البعض، وهما تحدي المرجعية الدينية، والموقف من إيران.

التحدي الأول: المرجعية الدينية

يحيّد شيعة الخليج مؤسستهم الدينية من النقاش الجاري حول الولاء للوطن، ويحصرون النقاش في إطاره السياسي الضيق المبني على العلاقة بينهم وبين الحكومة؛ من منطلق أن معارضة الحكومة موقف طبيعي لا يعني بالضرورة الولاء للخارج؛ لأنه بذلك يصبح كل معارض متهما في وطنيّته[٤]. ويطرح بعض رموزهم الليبرالية كحل لتجاوز الطائفية في المنطقة، ويأتي هذا الاقتراح بعد قراءة تُفسر ما يحصل بأنه سياسي وليس دينيا، أو أن الدين مجرد وسيلة لتحقيق أغراض سياسية.

بالتأكيد على أن أصل المشكلة سياسي وبالتالي البحث عن حلول سياسية لها[٥]. ويحاجون بأن الشيعة طوّروا مفهوما للشرعية السياسية أدى –وظيفيا- إلى تفريغ فكرة الزعامة من المحتوى السياسي وحصرها في بعدها الروحي. فالقائد الشرعي - حسب الرؤية الجديدة- هو الإمام أو الزعيم الديني الذي ينحصر دوره في توفير التعليمات ورعاية الأتباع في هذا الإطار[٦].

لا يستند هذا الطرح على أرضية فكرية متينة وذلك لاعتبارين أساسيين:

١- هامشية البعد السياسي:

يشير في هذا الإطار الدكتور وليد عبد الحي من خلال دراسته لـ ٢٨٤ أقلية في دول وأقاليم مختلفة خلال الفترة من ١٩٤٥- ٢٠٠٣، إلى أن أهم العوامل في تحريك النزعة الانفصالية هو العامل الجغرافي (أي وجود الأقلية

---

(١) محمد محفوظ، العرب ودولة الإنسان، القطيف: أطياف للنشر والتوزيع، ص ٢٢٤.

(٢) الصدر يستنكر دخول قوات درع الجزيرة إلى البحرين، موقع قناة الكوثر، ١٦ /٠٣/ ٢٠١١، على الرابط: http://www.alkawthartv.ir/index.php?option=com_content&view=article&id=11579&Itemid=115

(٣) داود البصري، حرب استنزاف إيرانية ضد البحرين، جريدة السياسة الكويتية، ٢٠١٢/٠٤/٢٨، على الرابط: http://www.alseyassah.com/AtricleView/tabid/59/smid/438/ArticleID/188637/reftab/92/Default.aspx

(٤) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٨٥.

(٥) بدر الإبراهيم، النزاعات الطائفية في منطقة الخليج، الدوحة: منتدى العلاقات الدولية، مؤتمر شباب الخليج الأول، ص ١٢.

(٦) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٦٠.

على حدود الدولة وتكون مجمعة في نفس المكان وليست مشتتة في أماكن عدة). والعامل الثاني من حيث الأهمية هو السمة التي تميز الأقلية (دين، مذهب، لغة، لون، عرق)، فإذا كانت أقليات دينية تكون النزعة أقوى. والعامل الثالث من حيث التأثير هو العامل الاقتصادي (وجود موارد هامة في منطقة الأقلية).

أما العامل الأخير فهو العامل السياسي (والغريب أن الدراسات تركّز عليه كثيرا) والذي يعني سلوك الأغلبية تجاه الأقلية[1]. ويتجلى هذا التباين في الحالة الكويتية فرغم الانفتاح السياسي الكبير وتحالفهم مع السلطة لعقود إلا أن ذلك لم يمنع من بروز تيار ثوري موالٍ لإيران، وعدم تجاوز الخلفية الطائفية في الممارسة البرلمانية؛ وبذلك فإن محاولة القوى الشيعية الخليجية التركيز على المظالم الاجتماعية والاقتصادية كمنطلق لتبرير سلوكهم السياسي وتحييد البعد الديني بوصفه علاقة روحية لا تتجاوز هذا الإطار، لا ترتكز على أرضية موضوعية صلبة.

٢- محورية العامل الديني:

يبقى العامل الديني موجِّها أساسيا لسلوك المجتمعات بشكل عام، والشيعة ليسوا استثناء من ذلك، خاصة عند الأخذ بعين الاعتبار طبيعة نشأة هذا المعتقد وتطوره، فكل القفزات والتحولات التي حصلت في بنية التشيع كان يقف وراءها علماء شيعة، بل على العكس تماما لم يصبح التشيع بهذا التأثير في المجتمعات العربية إلا بعدما حوّله فقهاء الشيعة إلى منظومة عقائدية وأخرجوه من إطاره السياسي، وبالتالي فإن محاولة تجاوز هذه الحقائق لن تقدم حلولا جذرية لهذا المشكل.

تأسيسا على هذا فإن المعضلة الأساسية تكمن في المنظور الديني الشيعي السلبي للدولة، والذي يبقي العلاقة مضطربة بين الشيعي ودولته، إذ يرتكز الفقه السياسي الشيعي على نظريتين في تفسير العلاقة بالسلطة السياسة والدولة، هما الانتظار وولاية الفقيه، فالنظرية الأولى لها موقف حدّي من كل أشكال الحكم، حيث تعتبرها مغتصبة لسلطة الإمام الثاني عشر، وهذه النظرية لا زالت تُدرس في الحوزات؛ ففي الجانب المعمق من البحوث الفقهية الذي يدرس للمختصين في الشريعة (وهو ما يسمى بالفقه الاستدلالي) تبحث العلاقة مع الدولة ضمن باب خاص يسمى «عمل السلطان» أو «الولاية من قبل الجائر». ويقدم هذا الباب العلاقة مع الدولة باعتبارها حالة من حالات الاضطرار التي تحكمها التعليمات الخاصة بظروف الاضطرار، لا كعلاقة طبيعية أو ضرورية بين مواطن في بلد وبين حكومته[٢].

أما نظرية ولاية الفقيه فقد جاءت لاستدراك الفراغ الذي ترتب عن الانتظار، ومنحت الفقيه حقّ تولي زمام السلطة حتى عودة الإمام الغائب، ويعتبر النظام الإيراني التجسيد العملي لهذه النظرية، وهو ما سنفصله لاحقا.

وقد عمد الشيعة الثوريون - على غرار حسن الصفار في السعودية- إلى نقل مرجعيتهم للسيستاني بدل خامنئي للنأي بأنفسهم عن الجدل حول ولاية الفقيه، غير أن هذا لا يعني تجاوز إشكالية المرجعية والولاء للوطن، حيث أثبت الواقع منذ الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، أن السيستاني تصرف كزعيم روحي لشيعة العراق، وهو الموجّه لهم، ولعب دورا كبيرا في دفعهم لتجاوز خلافاتهم وتشكيل تحالف لدخول الانتخابات، وتوجيه الناخبين للتصويت لهم، كما أنه يقف وراء مليشيا الحشد الشعبي التي يقودها زعماء المليشيات الطائفية من منظمة بدر وجيش المهدي، فلا يمكن لرجل دين بهذه الممارسات أن يسلك سلوكا مغايرا مع أتباعه في الدول الأخرى.

ويمكن الإشارة لمثال واحد حول أثر البعد الديني واقعيا على السلوك السياسي لشيعة الخليج، وهو قضية نمر النمر، فما إن أُعلن عن إعدامه في ٢ يناير ٢٠١٦ حتى انطلقت الاحتجاجات في بعض مناطق محافظة القطيف الواقعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، لا سيما في بلدة العوامية مسقط رأس النمر، وفي عدد من الدول التي يشكل المكوّن الشيعي فيها ثقلا ديموغرافيا؛ وذلك كما في البحرين، وإيران، والعراق، ولبنان، وغيرها من الدول في شبه القارة الهندية كباكستان وأفغانستان[٣].

(١) صفحة الدكتور وليد عبد الحي على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك.

(٢) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) غسان الشهابي، المرجع السابق، ص ٠٢.

التحدي الثاني: الموقف من إيران:

تؤمن بعض القوى الشيعية بولاية الفقيه؛ والتي لا يمكن المجادلة سياسيا أو دينيا بعدم ولاء أصحابها للمرشد الأعلى الإيراني. والواقع السياسي يؤكد الدور الذي تلعبه إيران، التي جعلت من نفسها وصيًّا على الشيعة بشكل العام، ومنهم شيعة الخليج، والأكثر من ذلك موافقة القوى الشيعية على الدور الإيراني، ويتجلى ذلك في المواقف الإيرانية من مختلف القضايا الشيعية.

ورغم مرور قرابة الأربعة عقود على الثورة إلا أن العلاقة مع الشيعة لم تخرج عن الخط الذي رسمه الخميني؛ حيث واصل خلفه خامنئي السياسات نفسها، وأبرز الأمثلة على ذلك التصريحات التي أصدرها حول الأزمة البحرينية وقال فيها: «إن الشعب البحريني سينتصر، وسيحقّق طموحاته رغم المحاولات لتجاهله وخروجه من دائرة الإعلام»[1].

كما رفضت إيران تدخل قوات درع الجزيرة، وتقدمت بشكوى للأمم المتحدة بشأن إرسال تلك القوات إلى البحرين، وقالت إنها لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي أمام الحملة على الاحتجاجات[2]، ورفضت الدعوة للاتحاد بين السعودية والبحرين، حيث وصف الناطق باسم الخارجية الإيرانية مشروع الوحدة بين البلدين بأنه يعني زوال البحرين ذات الأكثرية الشيعية[3]، والرد عليها بمطالبة طهران - كما ورد في جريدة «كيهان» التي يشرف عليها المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي- بضمّ البحرين إلى إيران، معتبرة أن غالبية البحرانيين يريدون الالتحاق بإيران، ودعوة عضو البرلمان الإيراني حسين علي شهرياري إلى التصدي لفكرة الوحدة بين السعودية والبحرين، مشيرا إلى أن البحرين كانت المحافظة الرابعة عشرة في إيران حتى ١٩٧١ ولكن للأسف - كما قال- بسبب خيانة الشاه محمد رضا بهلوي انفصلت البحرين عن إيران[4]، وهي تصريحات ليست بالجديدة، إذ تتكرر من حين لآخر، ومن مسؤول لآخر أيضا.

وحتى المظاهرات الشعبية ليست بعيدة عن توجهات الحكومة وتوجيهاتها كدعوة السلطات الإيرانية إلى تنظيم تظاهرات في جميع أنحاء البلاد احتجاجا على مشروع إقامة اتحاد بين السعودية والبحرين، واصفة نظامي البلدين بأنهما «تابعان» للولايات المتحدة، وأن الدعوة هي «خطة أميركية لضم البحرين إلى السعودية»[5]. والأهم أن تزامن المظاهرات الرافضة لمشروع قيام اتحاد بين البلدين، في البحرين وإيران[6] يؤكد الشكوك بعلاقة المعارضة بطهران، إذ وعلى حد تعبير طارق الحميد أن الجمعيات المعارضة الشيعية في البحرين قامت بالدعوة للقيام بتلك المظاهرات، ومنها جمعية الوفاق، ومجرد الدعوة للقيام بتلك المظاهرات، وبعد الدعوة الإيرانية بيوم، يعني تلقائيا أن المعارضة الشيعية في البحرين طائفية، وتبعيتها لإيران[7].

وعلى مستوى الدعم الإعلامي فهو أكبر بكثير مِن أن يُحصر، وتكفي الإشارة إلى طريقة تفاعل الإعلام الإيراني الرسمي مع أحداث البحرين في ٢٠١١، حيث جعلت قناة العالَم على سبيل المثال أخبار البحرين هي الرئيسة رغم أن ما كان يجري في مصر وليبيا أهم من ذلك بكثير عقب انسحاب قوات الأمن من دوار اللؤلؤة[8]، وكان أكبر أخطائه إقدامه على تحريف كلمة الرئيس المصري محمد مرسي باستبدال اسم

(١) أصابع إيران وحزب الله تحرّكان الاحتجاجات في البحرين، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٩/٤ على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=138448

(٢) البحرين: قوات درع الجزيرة باقية الى أن يزول الخطر الإيراني، جريدة المدينة، ٢٠١١/٠٤/١٨، على الرابط:
http://www.al-madina.com/node/299458

(٣) إيران مشروع الوحدة زوال للبحرين، الجزيرة نت، ٢٠١٢/٥/١٨، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/pages/0de44e92-5f96-4c43-8dea-89ff97d60ca1

(٤) الصراع الخليجي الإيراني والغياب الأمريكي، مجلة البيان، ١٤٣٣/٠٦/٢٥هـ، على الرابط:
http://albayan.co.uk/article.aspx?id=2029

(٥) الاتحاد الخليجي خطر على مشروع الفتنة الإيراني، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٠٥/١٦، على الرابط:
http://middle-east-online.com/?id=131302

(٦) شيعة البحرين يرفضون الاتحاد مع السعودية، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٠٥/١٨، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=131449

(٧) طارق الحميد، بل قصدهم لبّيك يا إيران!، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٢/٠٥/١٩م، العدد ١٢٢٢٦، على الرابط:
http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=677963&issueno=12226

(٨) بوزيدي يحيى، خاص بالعالم من المنامة، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١١/٠٢/٢٧، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=105793

سوريا بالبحرين في الترجمة الفورية التلفزيونية لخطابه في قمة عدم الانحياز، وقد استدعت المنامة القائم بالأعمال الإيراني لديها للاحتجاج، وطالبت الحكومة الإيرانية بالاعتذار. هذا إلى جانب الدعم الإعلامي من طرف وسائل الإعلام للتنظيمات الشيعية العربية التي لا تحيد عن هذا الخط[1].

أما عن الدعم العسكري فقد اتهمت البحرين طهران بدعم الخلايا النائمة في البلاد وتحدثت عن علاقتها بإيران، إذ أعربت الحكومة البحرينية أكثر من مرة عن امتعاضها وشجبها وإدانتها للتدخل الإيراني في شؤونها الداخلية. وقال وائل بوعلاي رئيس النيابة الكلية في مؤتمر صحفي: «ثبت يقينا من الحكم الصادر علاقة بعض المتهمين سعيهم وتخابرهم مع منظمة خارجية وهي حزب الله الذي يعمل لمصلحة إيران، كما أكد مراقبون أن استهداف السفارة البريطانية هو تكملة لسيناريو استهداف السفارة البريطانية بإيران من خلال الخلايا النائمة في منطقة الخليج العربي[2].

كما اتهمت الرياضُ طهران ضمنيا بخلق حالة من الفوضى في شرق البلاد. وربطت مصادر سعودية بين الصدامات التي حدثت وبين تصريحات الرئيس السوري بشار الأسد والتي نشرت في صحيفة الديار اللبنانية حول أنه يستطيع إثارة القلاقل بجوار آبار النفط وإغلاق المضائق وأنه يمتلك أدواته لتنفيذ ذلك[3]. واتهمتها أيضا بمحاولة تفجير جسر الملك فهد الذي يربط السعودية بالبحرين، إذ تبيّن أن ما بات يعرف إعلامياً بخلية إيران النائمة أو خلية حزب الله البحريني تلقت سابقاً تدريبات عسكرية في سوريا، وكان من المخطط أن تتلقى تدريباً مكثفاً في إيران[4].

كل الدلائل المشار إليها أعلاه حول الدور الإيراني في تحريك شيعة الخليج وتوظيفهم لتحقيق مصالحها، لم يقابله كما سبق الإشارة إلى أي رد فعل يثبت وطنية شيعة الخليج، مما يؤكد أن العلاقات التي يصفونها بالروحية يستحيل أن تبقى كذلك دون أن تكون لها امتدادات سياسية، خاصة وأن الطرف الآخر ليس محصورا داخل أسوار قم أو النجف، وإنما يساهم في صنع السياسات الشيعية في المنطقة كلها، وهذا ليس وليد اليوم، ففي كل الحقب التاريخية كان لمراجع الشيعة دور في الأحداث السياسية، وبالتالي فإن محاولة شيعة الخليج نفي هذا الدور حاليا تكذبه الحقائق والوقائع.

الخلاصة:

وفق الأطروحة الشيعية تبقى الوطنية مرهونة بتحقيق الرفاه الاجتماعي وتقلّد المناصب السياسة الكبرى، وما دام الأمر دون ذلك فإن كل ما يقومون به مشروع؛ بما في ذلك العمل الثوري. ورغم تعريف أنفسهم كأقلية دينية، إلا أنهم يرفضون إقحام الدين في أي نقاش، بوصف العلاقة روحية بحتة. ومن هذا المنطلق تصبح الليبرالية أو العروبة النموذج الأنسب لحل الإشكالات المثارة في دول الخليج.

هذا التوصيف للمشكلات هو هروب منها بدل السعي الجدّي لحلّها، فجلّ المواقف السياسية تجد ما يبرّرها من نصوص شرعية، ولذلك فإن وجود خلفية فقهية لأي موقف سياسي يدفع لمناقشة الأصل؛ وهو ذلك الموقف الفقهي، وليس تجاوزه واعتباره خارج إطار النقاش، والتركيز على تمظهراته الاجتماعية والسياسية، كما أن الاتهامات بالولاء للخارج لم تنطلق من فراغ وإنما من حقائق وأحداث يقرّون بها بأنفسهم، ومن المعلوم أن المعارضة في مختلف الدول تتعدد مشاربها الأيديولوجية، وهي متنوعة، ومنها من يطرح مشروع أمميا وآخر محليا على غرار الأحزاب الشيوعية والقومية، وبالنسبة للمعارضة التي تنطلق من خلفية دينية فلا يمكن نفي البعد الديني كموجّه لمواقفها، سواء كانت أممية أم محلية، فلا يمكن على سبيل المثال نفي تصور الخلافة الإسلامية للحركات الإسلامية السنية، وبذلك فإن محاولة نفي الخلفية العقدية عن الحركات السياسية الشيعية لا أساس موضوعيا له.

وعلى عكس ما يحصل في المجال السني حيث نبذ

---

(١) البحرين تطالب باعتذار إيراني لإقحامها في خطاب مرسي، العربية نت، ٠٢ /٢٠١٢/٠٩م، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2012/09/02/235617.html

(٢) محمد العرب، عبوة ناسفة «محلية الصنع» تستهدف السفارة البريطانية بالبحرين، العربية نت، ٠٤ /١٢/ ٢٠١١م، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2011/12/04/180797.html

(٣) إيران تصنع الفتنة في السعودية للتخفيف على سوريا وحزب الله، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١١/١٠/٢٤، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=118447

(٤) محمد العرب، خفايا خلية إيرانية حاولت تفجير جسر الملك فهد، العربية نت، ٢٥ /٢٠١٢/٠١م، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2012/01/25/190546.html

التطرف محسوم فيه، إلا أنه في المجال الشيعي لم تصدر مواقف تنتقد العنف الذي يمارسه الشيعة في دول أخرى، في حين يعتبرون التعاطف معهم في حالات الاضطهاد علاقة دينية طبيعية، هذه الازدواجية في جوهرها سلوك طائفي يقطع بتأكيد المنطلقات الدينية كمحرك أساسي للشيعة بشكل عام، وشيعة الخليج بشكل خاص، وبينما يحقّ لهم ذلك فإنهم يَتهمون التعاطف والدعم والتأييد السني لغيرهم بالطائفية.

الموقف من المرأة...
قراءة في ازدواجية المثقف العلماني

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

يمثل الموقف من القضايا التي تخصّ النساء إحدى الركائز المحورية في المشروع العلماني من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ولا يمكن بحالٍ إنكار أن ثمة مواقف مختلفة ومتباينة بين أصحاب المشروع العلماني وفقا للفلسفة والفكر الذي يعتمد عليها كل منهم إلا أنه من المؤكد أن هناك قسمات يشتركون فيها جميعا، وغالبا ما يتهم أصحاب المشروع الإسلامي بأنهم لا يمتلكون هذه القيم والقسمات ومن ذلك فكرة: المساواة المطلقة والحرية الكاملة والواحدية في العلاقات.

الكتابات والأدبيات العلمانية تكاد تقدس المرأة وتطرح رؤى مثالية محلقة في الخيال بينما يطفح واقع العلمانيين باستغلال النساء، إن لم يكن احتقارهن فعليا وكأنما كانت الصورة المثالية غير الواقعية التي تم طرحها في تلك الأدبيات هي الطعم الذي يلقى للغافلات الباحثات عن دور بطولة وهمية أو كأنما هي قراءة دفاعية لواقعهم المليء بالثغرات.

إلى أي حد طابقت أفكارُهم واقعَهم؟ هل أفكارهم بخصوص المساواة والحرية قابلة للتنفيذ؟ ما هو الثمن المرّ الذي دفعته النساء العلمانيات جراء هذه الأفكار؟ هذه السطور لن تناقش الأفكار بما تتضمنه من خلل في البناء المعرفي والمنهجي وإنما تحكي جزءا بسيطا من تفاصيل الواقع الأسود الذي تعيشه المرأة في كنف المثقف العلماني اللاديني، الذي قد يبدو ظاهره براقا لبعضهن بينما تكمن في دواخله الكثير من الندبات والجراح الغائرة، ربما لما يحمله من قيم تناقض القيم الدينية وربما أيضا نتيجة أفكار يطرحها للمزايدة والترف الفكري ولكنها تتناقض مع الفطرة والسلام النفسي للإنسان.

الحب والمسئولية

لعل ما كتبَته أروى صالح عن المثقف اللاديني وعلاقته الحقيقية الواقعية بالنساء من أصدق ما كُتب لأن مَن كتبته تنتمي لنفس المدرسة، لكنها كتبت ما كتبت في لحظة صدق ومكاشفة مع النفس، تقول عن المثقف اللاديني: (يتكلم عن العدالة وزيف قيم المجتمع وأشياء أخرى كثيرة، ولكن أهمها، بل الهدف الأصلي منها في الواقع، هو «الحب الحر» الذي لا يحتاج أموالاً لممارسته ولا مسؤوليات من أي نوع، حب على المسؤولية الشخصية، ومن ثم لا يوجد من يعاقب عليه، لذلك فإن رجلنا المقدام يندفع فيه بثبات يعوزه أحياناً في مواقف أخرى ليست أقل أهمية! ولكن «المسؤولية الشخصية» كما يتضح في آخر القصة - القصيرة غالباً - يتحملها من الناحية الفعلية طرف واحد لا اثنان كما اتفق)[1].

بينما تطرح الأدبيات والأفكار العلمانية مفهوم الحرية الكاملة للمرأة قد لا يعني ذلك في الحقيقة سوى تحرر هؤلاء المثقفين من المسئولية، خاصة المادية منها تجاه الحب! فبينما يقنعها أن تحررها الحقيقي لا يكتمل إلا بعد أن تنفق على نفسها وأنها ليست جارية حتى يقدم لها ثمنا أو صداقا، وأن من يملك يحكم، فلو كان هو الذي أنفق عليها فهذا سيحولها لمجرد جارية لا رأي لها، يضحك في داخله من سهولة وبساطة ما يتحمله في مقابل الحصول على متعة مجانية من كل شيء وبلا أي مسئوليات، أو كما تقول أروى صالح: (لقد أسفر الحب الحر عن حب مجاني، بل رخيص في الواقع)[2].

(*) كاتبة مصرية.

(١) أروى صالح، المبتسرون، ص ٨٧.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٨.

وليس من المبالغة في شيء أنه في داخله يراها كامرأة ساقطة (وبمعجزة يختص بها مثقفو شرقنا العربي، في تحويله إلى مومس! أو على الأقل فإن ذلك هو الرأي المؤكد (سلفاً) للحبيب الأول. أما هو، فإن مسؤوليته تتمخض في النهاية عن إنجاز آخر لفحولته، فيتيه برجولته (حقاً لا هزلاً))[1].

في هذا السياق لا زلت أذكر قصصا كنت شاهدة عيان عليها أثناء نشاطي السياسي في المرحلة الجامعية، فتيات بسيطات لديهن أحلام واسعة للنضال ورغبة شديدة في تغيير الواقع السياسي ينجذبن لتيارات تبدو ثورية تقدمية، أهم بضاعة هذه التيارات هي الكلام، تبدأ الطالبة بالتفاعل مع قضية سياسية معينة ويتم دعوتها لحضور اجتماع التيار والمشاركة في النقاش، في البداية لا نقاشات عن الدين أو نقد للحجاب الذي ترتديه، وتدريجيا ومع الاندماج مع المجموعة تناقش مثل هذه الأمور وتبدو المسكينة التي لم يتحصل لها من العلم الشرعي شيء ضحيةً في وسط هذه التيارات، وكل ما تحمله من قيم ومفاهيم يتم تحقيره لأنه مجرد عادات بالية تقليدية، حتى مفهوم الشرف والطهارة يتم السخرية منه في مقابل الحب الحر للفتاة الحرة ومن ثم تنزلق الفتاة في علاقة غير شرعية بكامل إرادتها، وهي ترى بذلك أنها تتحرر من قيم المجتمع التقليدية لكنها وبعد فترة بسيطة تكتشف أن الطرف الثاني قد ملّ منها وأنه بحاجة لتجربة جديدة أكثر إلهاما أو ربما أكثر جمالا بينما تضطر هي لخوض تجربة أخرى تعوّض بها الفراغ الذي خلفته تجربتها الأولى المؤلمة وتتكرر القصة، وقد ينتهي الحال بالمسكينة للانتحار أو الاحتراف وإقناع أخريات بالتجربة نفسها كحيلة دفاعية نفسية حتى لا تشعر أنها وحدها التي سقطت في مستنقع الحب الرخيص!

جرائم فلاسفة الغرب

نبعت فكرة المساواة الكاملة والمتطابقة في الغرب ثم قام مثقفونا باستيرادها جاهزة، لكن الفلاسفة الغربيين الذين أَطلقوا هذه الأفكار شهد واقعهم الحقيقي جرائم بشعة في حق النساء تناقض تماما تلك الأفكار الزاهية التي يمنون بها النساء، فهايدغر الفيلسوف الألماني الوجودي الكبير ملّ الحياة مع زوجته فعاش في علاقات غير شرعية مع تلميذاته وغير تلميذاته (وقد نشرت دار شبيغل الألمانية في أحد أعدادها الأخيرة تحقيقاً موسعاً عن هايدغر تحدثت خلاله عن نسائه حديثاً مستفيضاً، ومن هؤلاء النساء الباحثة الفلسفية اليهودية حنّة أَرْدِتْ التي كانت إحدى تلميذاته. وتقول المجلة إن زوجة هايدغر اضطرت للاعتراف بهذه العشيقة وللتعايش معها في آن)[2].

لقد عاشت زوجة الفيلسوف الكبير حياة بالغة القسوة لكثرة علاقاته النسائية، ففي الوقت الذي ينتقدون فيه تعدد الزوجات بالشروط الشرعية ويدافعون عن الواحدية المقدسة نرى أن واقعهم يطفح بتعددٍ دون حدّ ودون أي ضوابط، نستلهم ذلك من تلك الرسالة الحزينة التي كتبتها زوجة الفيلسوف الوجودي هايدغر: «كيف مزقت ذاتي التي كان عليها أن تتحمل هذه الإساءات اللا إنسانية بسبب إخلاصها لك. وذلك ليس لمرة واحدة فقط، بل لمرات عديدة متكررة طوال أربعة عقود. هل باستطاعة إنسان، إن لم يكن شجراً أو سطحياً، تحمّل هذا؟ دائماً تقول وتكتب أنك مخلص لي ومرتبط بي.. ما هذا الرباط؟ إنه ليس الحب، وإنها ليست الثقة. أنت تبحث عن وطن عند النساء الأخريات. يا مارتن! هل تعرف ماذا يوجد في داخلي؟ وهل تدرك كم هي موحشة، جامدة، ومثلجة، أعماقي؟»[3].

هذا هو المسكوت عنه في الحياة الحقيقية للفيلسوف. صحيح أنهم في ألمانيا مهتمون بنشر مثل هذه الوثائق لكنهم لا يتطرقون أبدا للعلاقة بين الفكر والواقع والتقريب بينهما، بل يؤخذ كل منهما في مدار مختلف، فالواقع المخزي للفيلسوف لا يغض من قيمة فكره بينما يتجاهل المثقف العلماني العربي الأمر برمّته حيث بنى مشروعه على أساس نقد الخطاب الإسلامي ووضع رموزه تحت المجهر.

أما الفيلسوف الوجودي الفرنسي سارتر وعشيقته الرسمية الكاتبة الفرنسية سيمون دو بوفوار، الثنائي الأشهر عربيا والملهم لكثير من المثقفين العرب، فهو نموذج مقزز، حيث انغمس الفيلسوف في علاقات مع

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٢) جهاد الفاضل، نساء سارتر وهايدغر، جريدة الرياض.

(٣) المرجع السابق.

مراهقات، وقد كتبت (بعض هؤلاء المراهقات حيث يصفن سارتر في مباذله معهن، وصفاً قد لا يظن أحد أن فيلسوفاً كبيراً مثله يمكن أن يعيشها)[1].

لقد عاش هذا الثنائي حياة بهيمية قذرة فـ (على ضوء الكتب الحديثة الصادرة في باريس عن حياة هذا «الثنائي الذهبي» للوجودية الفرنسية، واستناداً إلى وثائق نُشرت حديثاً عن حياتهما، يتبين أنهما أقاما في ما بينهما نوعاً من حلف غير مقدس، أو نوعاً من عقد مسبق على أن ما يربط بينهما هو «الحب الضروري» وبمقتضى هذا «الحب الضروري» لا مانع في أن يتمتع كل منهما بما اصطلحا على تسميته بالحب الطارئ، أو العلاقات العابرة. وقد اعتاد العاشقان، إن جازت تسميتهما كذلك، على أن يروي كلٌ منهما للآخر تجاربه العاطفية الطارئة هذه، في مراسلات مكتوبة ومطوّلة يعكف الفرنسيون الآن على قراءتها، مصدقين حيناً وغير مصدقين حيناً آخر!)[2].

سيمون دي بوفوار التي تتلقف عنها النسويات العربيات الأفكار الملهمة وصاحبة أشهر مقولة في تاريخ الفكر النسوي (المرأة لا تُولد امرأة وإنما تُصبح كذلك) هذه الجملة التي تشبه العقيدة المقدسة عند النسويات، والتي على أساسها تم رفض كافة الفروق البيولوجية وما يترتب عليها من فروق في الدور الاجتماعي، هذه الكاتبة الكبيرة التي باع كتابها «الجنس الثاني» عند صدوره في الخمسينيات مليوناً ومئتي ألف نسخة في طبعته الفرنسية، وترجم إلى ٢٧ لغة، كانت سيدة شاذة بطريقة مقززة بل ومستغلة لأقصى درجات الاستغلال (ومع أن الفرنسيين كانوا يعلمون في السابق أن شيئاً من ذلك كان يحصل في علاقة سيمون دو بوفوار، بجان بول سارتر، إلا أن دو بوفوار كانت تنكر باستمرار أن يكون لها علاقات مثلية، وهذه العلاقات تتأكد الآن على ضوء الوثائق الخطية التي تفيد أنها كانت تتبادل وتتقاسم مع سارتر عشيقات صغيرات السن)[3].

كانت سيمون دي بوفوار تستدرج طالباتها الصغيرات لإقامة علاقات جنسية شاذة معهن (خرقت المعلّمة دي بوفوار العقود التربوية، وقامت باستدراج أولغا كوساكيويتز إحدى طالباتها (١٩ عامًا) لإقامة علاقة غرامية معها، ثم تعمّقت العلاقة بين المعلمة والطالبة حتى كتبت دي بوفوار روايتها الأولى «أتت لتمكث، ١٩٤٣م» لتدبّجها بإهداء خاص لكوساكيويتز. تجاوزت دي بوفوار هذا الاستدراج غير المهني بإشراك كوساكيويتز في مُساكنة ثلاثية مع حبيبها سارتر وعُشّاق آخرين.

مضت دي بوفوار في هذه الخطط الاستدراجية حتى تعرفت على طالبة أخرى (١٦ عامًا) تُدعى بيانكا لامبلين فأقنعتها لتدخل في علاقة غرامية مشتركة مع سارتر، الذي كان - فيما يبدو- يهيئ نفسه للقاء أي ضحية تقع في حبال دي بوفوار. كتبت لامبلين مذكرات «علاقة مشينة، ١٩٩٣م» واصفة هذه الغراميات الطويلة، شاكية من كونها استغلت استغلالاً شائنًا من جانب دي بوفوار وسارتر على السواء الذي كان يُظهر نزعات سادية.

في عام ١٩٤٣م، مضت دي بوفوار في تعرفها إلى الطالبات لتلتقي هذه المرة طالبة (١٧ عامًا) تدعى ناتالي سوروكين، وهي آخر العشيقات الأحياء لدى بوفوار وسارتر، غير أن من سوء حظ دي بوفوار هذه المرة أن قامت أم ناتالي بعد ملاحظة تغير سلوكياتها برفع قضية تحرش ضد دي بوفوار آلت بعد التحقيقات لتجريم دي بوفوار وسحب رخصتها التدريسية منها مدى الحياة)[4].

هذه العلاقات المقززة الشائنة التي تمتلئ بكل صور الشذوذ هي واقع الفيلسوف الكبير والكاتبة النسوية الملهمة، هذا الواقع الذي لا تريد النسويات في بلادنا أن يعرفه أحد لأنه يفضح العوار في النظري والفكري، هذا الفصام النكد بين الفكر والواقع يؤكد أنه فكر خاطئ لا يراعي الحاجات الحقيقية الواقعية للإنسان، ومن ثم يتسبب بتطرف أصحابه بطريقة مختلة في محاولة لإشباع دوافعه النفسية، وتتسع الفجوة أكبر بين سلوكيات همجية استغلالية وأفكار تكرس للبراءة وتحلق في المثاليات!

(١) المرجع السابق.

(٢) جهاد الفاضل، ربع قرن على غياب سيمون دي بوفوار ..العلاقات المشينة مع سارتر ومع ما سواه، جريدة الرياض.

(٣) المرجع السابق.

(٤) متعب القرني، الحياة السرية لمفكرين وفلاسفة، صراعات وجنس وخيالات مازوشية، مجلة الفيصل، بتصرف.

تحرر أم عبودية

عانت زعيمة الحركة النسوية في العالم دي بوفوار من فراغ نفسي رهيب بسبب فكرها المتصادم مع الفطرة الإنسانية السوية، فـ (بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيلها، نشرت الصحافة الفرنسية مراسلاتها مع عشيقها الأميركي نيلسون الغرين. في إحدى رسائلها إليه تبدي رغبتها العارمة بالالتحاق به، وبالزواج منه، مقدمة إليه أقصى خضوع ممكن لامرأة من أوروبا أو من الغرب.

فقد كتبت إليه بعد عودتها من الولايات المتحدة إلى فرنسا: «إني مستعدة لأن أطبخ لك يومياً، وأن أكنس المنزل، وأغسل الصحون. أريد أن أكون لك زوجة عربية مطيعة»[1].

الكاتبة الكبيرة على استعداد إذن أن تلقي بمشروعها الفكري خلف ظهرها وتمارس الوظائف التقليدية للمرأة بخضوع يشبه طقوس العبودية لمجرد أنها أحبّت رجلا ما وأرادته، إنه التناقض الرهيب الكامن في أعماق هؤلاء النسويات بين أطروحة المساواة الكاملة العقيمة التي ينظرن إليها وبين المشاعر الفطرية الطبيعية الموجودة في داخل كل أنثى تريد أن تتكامل مع الرجل، لا أن تعيش معه حياة ندية شرسة.

المسئولية المهدرة

لا يمكن الحديث عن موقف فلاسفة الغرب الحقيقي من المرأة والأسرة دون أن نتطرق لجان جاك روسو صاحب العقد الاجتماعي عالم السياسة والاجتماع، روسو الذي كانت له العديد من العلاقات المحرمة مع عدد من بائعات الهوى انتهت لعلاقة غير شرعية بامرأة جاهلة استغلها روسو حتى أنجب منها خمسة أطفال، وأصرّ على التخلي عنهم جميعًا حتى مات معظمهم، يقول روسو عن ذلك: «نتج عن تلك اللقاءات الغرامية خمسة أطفال، تم وضعهم جميعًا في مستشفى اللقطاء دون أن أفكر بهم لاحقاً، إذ لم أحتفظ حتى بسجلات تواريخ ميلادهم... أنا متأكد من أن هؤلاء الأطفال كانوا سيكبرون على كراهية والديهما، وربما خيانتهما»[2].

روسو الذي كتب كتابا بعنوان «رسائل في الأخلاق» والذي وعظ من خلاله بأهمية الإخلاص بين الزوجين، وتكليل الحب بالزواج.

كما لم يثنه تخلّيه عن أبنائه عن كتابة روايته التربوية «إميل أو عن التربية»، وإرشاد قرائه إلى الطريقة السليمة لتربية الأطفال، هذه الازدواجية الغريبة حتى الدهشة بين الفكر والواقع في علاقة المثقف العلماني بالمرأة تحديدا تؤكد أن الأطروحة الفكرية التي يراد لها أن تسود عالميا مزيفة ولا تفيد المرأة وإنما هي تكرس تحرر الرجل من مسئولياته وتحميل كافة الأعباء للمرأة.

النسخة العربية

كثيرا ما تم وصف الكاتبة النسوية نوال السعداوي وزوجها السابق الروائي شريف حتاتة بأنهما النسخة العربية من سارتر ودي بوفوار، أو هكذا أرادوا أن يكونا، وقام هذا الثنائي بتقديم أفكار شاذة صادمة للمجتمع.

فعندما سئلا: (هل توجد بينكما مساحة من الحرية مثل تلك التي يتمتع بها الأصدقاء غير الأزواج؟ بمعنى، هل أنتما مع تعددية العلاقات بين الرجل والمرأة أو العكس؟

نوال السعداوي: أنا وشريف عندنا حرية. ليس لدي مانع أن تكون له صديقة أو حبيبة أو عشيقة، لكن عندي مشكلة في الكذب. ليس عندي أسرار، ولا أحب مواصلة الحياة مع شخص يخفي عني أشياءه. لكنني أوافق على تعدد العلاقات.

شريف حتاتة: الإنسانية منذ خمسة آلاف سنة تُصارع في هذا الموضوع. أعتقد أني تجاوزت أشياء كثيرة جدًا. لو عرفت أن نوال لسبب من الأسباب أحبت إنسانًا آخر، أو كانت لها علاقة بشخص، فأنا يمكنني تجاوز ذلك.

١. حتى جنسيًا؟

شريف حتاتة: حتى جنسيًا. لأن حياتنا المشتركة فيها شيء آخر قيّم، إلى درجة أن الواحد يكون قصير النظر، إذا ضحى بها لهذا السبب)[3].

إنها الدعوة لنقل تجارب سارتر ودي بوفوار المشينة لعالمنا العربي والإسلامي بدعوى كسر التابوهات، لكن هذا هو الفكر، أما الواقع فإنهما لم يستطيعا الحياة الفعلية مع هذه الأفكار المشئومة، فوقع بينهما الطلاق المؤكد، ولم يستطيعا تحمل هذه الحرية المطلقة التي يتم

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

(٣) حوار منشور في صحيفة المدن بعنوان: شريف حتاتة الأجرأ من سارتر.

دعوة المجتمع إليها، حتى أن منى حلمي ابنة الدكتور نوال السعداوي اضطرت للدفاع عن أمها بقولها: إن أصل المشكلة التي أدت للطلاق هو إقامة شريف حتاتة زوج أمها علاقات جنسية مع عشيقات مما عرض نوال السعداوي للأذى النفسي وطلبت الانفصال دفاعا عن الحق والعدل.

هذه الازدواجية بين الحرية المطلقة التي كانت تدعو لها السعداوي كتلك الحرية التي مارستها دي بوفوار وسارتر وبين صدمتها الشخصية في حياتها الخاصة فأصبحت أفكار مثل الحق والعدل أفكارا مطاطية ما يبث منها للجمهور يختلف عما يمارس في الواقع الشخصي، وهكذا يكشف هذا الواقع زيف وتهافت الأفكار.

مظلومية أهل السنة في إيران (٢)
المظلومية السياسية

ماجد العباسي(*) - خاص بالراصد

مظلومية أهل السنة دستوريًا:

حرمانهم من المشاركة في صياغة دستور البلاد في بداية حكم نظام الخميني: بعد انتصار الثورة على الشاه، والتي شارك فيها أهل السنة، كان جزاؤهم استثناءهم من المشاركة في كتابة الدستور الإيراني الجديد، والذي أسبغ الدستورية على نهج الطائفية الشيعية وتهميش السنة، وقامت حكومة الملالي بفرضه بالحديد والنار.

وقد نصّ هذا الدستور على:

١- أن المذهب الشيعي الإثني عشري هو المذهب الرسمي لإيران.

٢- رئيس الجمهورية يجب أن يكون من الشيعة.

٣- ولاية الفقيه هي الحاكمة (وهي بدعة جديدة في الفقه الشيعي ولم تكن من قبل، وهي سبب المصائب في إيران باعتراف الشعب الإيراني نفسه).

أعلن أهل السنة رفضهم للبنود الطائفية في هذا الدستور المختلّ لكيلا تعود إيران إلى زمن الصراعات المذهبية والقومية، ولرفع المظالم عن كل طوائف وفئات الشعب الإيراني دون استثناء، فاعترض الأستاذ مفتي زاده وعدد من علماء أهل السنة على المادة الخامسة عشرة بعد المائة، التي توجب أن يكون رئيس الجمهورية شيعي المذهب، والتي تعني تقسيم المواطنين الإيرانيين المسلمين إلى فئتين: مواطن درجة أولى ومواطن درجة ثانية، وبات يحق للأول - بحكم مذهبه- أن يكون حاكمًا على الثاني، ولا يحق للثاني - بسبب مذهبه- أن يكون حاكمًا وإن كان إيرانيًا مسلمًا.

إلا أن اعتراض علماء السنة على طائفية الدستور قوبل بالرفض من قبل الخميني، الذي أصرّ على تنصيص المادة ١١٥ وعدة مواد طائفية أخرى رافضًا نصيحة بعض مستشاريه الذين نصحوا بتعديلها، وهي المادة التي تسببت فيما بعد بحرمان السنة من تولي كافة المناصب العليا في البلاد.

وحيث أن ولاية الفقيه تعني الحاكمية المطلقة لحدّ التدخل في أركان الشريعة! أي أنه يحق للولي الفقيه أن يحرّم الحلال ويحلّل الحرام عند المصلحة، ويعتبر كل مخالف له كافرًا، وأن يصادر أموال الناس وقتما يشاء، وهذا عين ما ادعاه فرعون، بل أشد.

ولمّا كان أهل السنة وبعضُ مفكري الشيعة وعلمائهم يرفضون هذه الخرافات، ولا يؤمنون بها، فإنهم أعلنوا رفضهم واعتراضهم عليها، فالشيخ عبد العزيز ملا زاده الزعيم الشجاع لأهل السنة صاح في مجلس الشورى ضد إقرار هذه البنود، أما الأستاذ أحمد مفتي زاده فقد انتقد الدستور في جمع كبير من الجامعيين والمسؤولين، وأسمعهم رفض أهل السنة للدستور للطائفي في إيران، وكذلك بعض علماء الشيعة أمثال الطالقاني، الذي صدع بالحق قائلًا: (إن هذا الدستور ليس دستورًا إسلاميًا، إنما هو دستور النفاق)، ولكن هذه الصيحات المحقّة خنقت من قبل الطائفيين المتعصبين، فعندما أرادوا إجراء الاستفتاء على هذا الدستور في إيران حُرم علماء أهل السنة وبعض الشيعة كالطالقاني والمهندس بازركان من المشاركة في الاستفتاء، ومنذ ذلك اليوم رفع الطائفيون شعار «الموت لمناهضي ولاية الفقيه» في وجه أهل السنة - لأن مناهضي ولاية الفقيه من الشيعة

(*) كاتب إيراني.

كانوا قلة قليلة- وفعلوا بهم الأفاعيل ولا يزالون.

ولم يقتصر موقف أهل السنة على رفض الدستور الطائفي، بل قاموا بتأسيس مجلس الشورى المركزي لأهل السنة عرف اختصار بـ (شمس)، وقد أسسه الشيخ أحمد مفتي زادة والشيخ عبد العزيز البلوشي، واجتمع أول مجلس سنوي لشورى السنة في طهران، وعقد الثاني في بيت الأستاذ مفتي زادة بمدينة كرمانشاه الكردية، حيث كانت دولة الملالي ضعيفة آنذاك ومشغولة بحرب أعدائها المنشقين والمعارضين، لكن دولة الخميني دبرت للأستاذ مفتي زادة بعض التهم الباطلة وأُودع في السجن ظلمًا مع كثير من الأعضاء البارزين في «شمس» من كردستان وبلوشستان ومناطق أخرى.

الحرمان من المناصب السياسية والإدارية:

إن حرمان أهل السنة من المناصب السياسية والإدارية هو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها سياسة ملالي طهران، حيث حرموهم حتى من المناصب العليا في الدوائر الحكومية في أقاليمهم ومحافظاتهم ككردستان وبلوشستان وغيرهما، فلا يكاد يوجد أي مسؤول سني رفيع المستوى في الإدارات الحكومية (ما عدا الكهرباء والمياه وما شابه ذلك) بل هو ممنوع بتاتاً، وهذا المنع قائم عملياً برغم عدم وجود قانون فعلي، حتى في الوزارات التي لا تمثل أي أهمية بالنسبة للحكومة، أما الإدارات أو الوزارات المهمة كالداخلية والخارجية والمخابرات وحرس الثورة والتعليم والتجارة والدفاع فإن أهل السنة لا يحلمون حتى بالعمل فيها كموظفين عاديين فضلًا عن شغل المناصب العليا فيها، إذ لم يصل إلى رتبة الوزير أحد من أبناء السنة بعد الثورة، وكذلك لم يشغل منصب السفير ولا المحافظ سني قط بعد الثورة.

عدم التمثيل المناسب في البرلمان والمجالس الحكومية:

إذا أمعنّا النظر إلى وضع المجالس والبرلمان في إيران فإننا نرَ أن البرلمان الإيراني يقوم بحرمان أهل السنة من حقوقهم بالمساواة والعدل، إذ لكل ٢٠٠ ألف شيعي تقريباً نائب واحد، بينما لكل مليون ونصف سني أو أكثر نائب فقط!!

ومع ذلك فإن عضوية البرلمان لا تتحقق إلا لأفراد قليلين من السنة ترضى عنهم الحكومة الشيعية وليس هم خيار أهل السنة، فمن المعلوم أن البرلمان يتشكل من حوالي ٢٩٠ مقعدًا، وإذا كان أهل السنة على أقل تقدير لا يقلون عن ٢٥٪ من تعداد السكان في إيران فإنهم يستحقون ٧٢ مقعدًا على الأقل في البرلمان، ولكنهم حرموا من هذا الحق، حيث لا يوجد لهم إلا بضعة عشر نائبًا، وليس لهم أي وزن في البرلمان، بل ويستغل الشيعة وجودهم لأهدافهم السياسية بما يتنافى مع مصالح أهل السنة الحقيقية ويعرّض حقوقهم لمزيد من الخطر والضياع، وكذلك فإن الشخص المنتخب في البرلمان والذي يطالب بحقوق أهل السنة المساكين لا يمكن أن يستمر أكثر من دورة واحدة في الانتخاب ثم يتابع بعد ذلك بالقضاء عليه وتعذيبه وإهانته كما فعلوا مع الشيخ نذر محمد البلوشي الذي ألقي القبض عليه وعذب في سجون الحكومة الإيرانية، أو يحرم من الترشح مرة أخرى كالدكتور جلالي زاده الكردي، والكثير من المراقبين يرون أن استشهاد المندوب الشجاع مسعود هاشم زهي مكيدة مدبرة.

أما **مجالس البلديات** - بعد تنفيذها لأول مرة في عهد خاتمي- فوجئوا بنجاح الأغلبية الكاسحة من مرشحي أهل السنة في المناطق السنية، فلجأوا للضغط على الناجحين للتنازل طواعية أو يسقط بالتزوير كما حدث في بندر عباس.

أما باقي المجالس **كمجلس صيانة الدستور ومجمع تشخيص مصلحة النظام** فلم يعيّن فيهما سني واحد، وأما **مجلس الخبراء** فقد يعين فيه سني موال للحكومة الإيرانية ولا شعبية له في أغلب الأحيان لدى أهل السنة وهو كذلك ليس له أدنى تأثير في القرارات الصادرة في المجلس.

حرمان أهل السنة من حقوقهم الدستورية من السلطات الحكومية:

أهل السنة يعانون من جريمة حرمانهم من حقوقهم الدستورية مثل حريّتهم في أداء واحترام شعائرهم الدينية، وحقهم في إدارة التعليم الخاص بهم، وتشكيل المؤسسات والهيئات المختلفة، والفارق بين أهل السنة والطوائف والأقليات الأخرى في إيران أن حقوقهم لا تتجاوز الحبر على الورق، بينما حقوق اليهود والنصارى والزرادشت تجد كل عناية وتقدير من حكومة الملالي!!

الاحترام وحرية أداء المراسم والشعائر الخاصة: حيث نصت المادة (١٢) من الدستور على أن: «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثني عشري، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير، وأما المذاهب الإسلامية الأخرى والتي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية، وما يتعلق بها من دعاوى من المحاكم، وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية، وعليه فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة - في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية- تكون وفق ذلك المذهب، هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى».

حرية استخدام اللغات الخاصة: حيث نصت المادة (١٥) على أن: «اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة؛ هي الفارسية لشعب إيران، فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة والكتابة، ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدريس آدابها في المدارس إلى جانب اللغة الفارسية».

كما نصت المادة (١٦) على ما يلي: «بما أن لغة القران والعلوم والمعارف الإسلامية العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية».

حرية تشكيل التنظيمات والهيئات المختلفة: حيث تنص المادة (٢٦) على أن: «الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية والاتحادات المهنية والهيئات الإسلامية والأقليات الدينية المعترف بها تتمتع بالحرية بشرط ألا تناقض أسس الاستقلال والحرية والوحدة الوطنية والقيَم الإسلامية، كما أنه لا يمكن منع شخص من الاشتراك فيها أو إجباره على الاشتراك في أحدها».

كيفية ترشيح رئيس الجمهورية: تنص المادة (١١٥) على أن: «يُنتخب رئيس الجمهورية من بين الرجال المتدينين السياسيين الذين تتوفر فيهم الشروط التالية:

١- أن يكون إيراني الأصل ويحمل الجنسية الإيرانية.

٢- قديرًا في مجالس الإدارة والتدبير.

٣- حسن السيرة.

٤- تتوفر فيه الأمانة والتقوى.

٥- مؤمنًا ومعتقدًا بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد».

لكن الواقع هو أن أهل السنة محرومون من كل هذه الحقوق الدستورية، فلا وجود لحرية أداء شعائرهم الدينية، فمساجدهم تهدم وتغلق، وأما حقهم في إدارة التعليم الخاص بهم لا واقع له مع منع مدارسهم وتجريم من يقوم بذلك، وهم ممنوعون من تشكيل مؤسساتهم وهيئاتهم المختلفة بشكل مستقل وحر، والفارق بين أهل السنة والطوائف والأقليات الأخرى في إيران أن حقوقهم لا تتجاوز الحبر على الورق، بينما حقوق اليهود والنصارى والزرادشت تجد عناية أكثر من حكومة الملالي!!

وبالقراءة الدقيقة للنصوص الدستورية التي تركز على ترسيخ التشيع في الدستور وإيران، نجد أنها تقيم حالة من الصدام والصراع مع قسم كبير من الشعب (يمثله أهل السنة) وخاصة أنها سوف توجه التصرفات الحكومية وتعطيها غطاء من المحاسبة نظرًا لأن المذهب الجعفري يُسقط كل المذاهب الإسلامية الأخرى ولا يقيم لها وزنًا، وتركيز هذه الصبغة الطائفية في الدستور الإيراني يتكرر في مواد أخرى متعلقة مثلًا بمجلس الشورى أو الجيش وقسَم الرئيس، وهذا القلق في الدستور تجاه الهوية الطائفية من خلال تكرار النص على المذهب الشيعي هو في الحقيقة خوف من المستقبل الذي لا يكون فيه الملالي على رأس النظام الإيراني.

التشيّع المعاصر في العراق وجهود مقاومته (١- ٢)

عبد العزيز بن صالح المحمود(*)- خاص بالراصد

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لاحتلال العراق، سنتناول قضية قلّ تسليط الضوء عليها رغم أهميتها، وهي محاولة نشر التشيّع في العراق، إذ أن مخطط إيران وأحزابها هناك كان بعيداً تمامًا عن فكرة تشييع السنة؛ حيث كانت غايتهم الأساسية هي تمكين التشيّع في العراق وليس دعوة السنة إلى التشيع[1]؛ لذلك اعتمدوا التغيير الديمغرافي، وتهجير السنة، وقتلهم بأبشع أنواع القتل، واعتقال آخرين وتعذيبهم، دون أمل بالخروج من السجون، وإفقار مناطقهم اقتصاديا، ولكي يضفوا الشرعية على جرائمهم سهّلوا ودعموا خفيةً المتطرفين من السنة للتورط في حوادث طائفية يكون الرابح فيها دوما الطرف الشيعي لأنه مسلح ومدعوم من إيران؛ لذلك كانت إيران تمارس بأيدي المتطرفين الكثير من التفجيرات في الحسينيات والمناطق الشيعية ليكون ذلك مدعاة لاعتقال وقتل وتهجير أهل السنة.

كما سنّوا قانون اجتثاث البعث، والمقصود الحقيقي به البعثي السني فقط، وقانون ٤ إرهاب، والذي طبق على السنة فقط، وغير ذلك من القوانين الظالمة.

لذا كانت المهمة الأولى للشيعي والإيراني هي قهر المجتمع السُني بالقوة لتطبيق مشروعهم الطائفي، والذي هو امتداد لسلوك قديم منذ نشوء الدولة الصفوية التي حولت إيران إلى التشيع بالقوة وإراقة الدماء[2].

لكن هل مارست إيران وأدواتها في العراق نشراً للتشيّع أيضاً؟

هذا ما سيجيب عليه هذا المقال.

بداية التشيع مع الأحزاب السنية العراقية[3]:

كانت بداية عملية التشيع مع ساسة السنة منذ الانطلاقة الأولى للعملية السياسية بعد الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣، وبدا ذلك واضحا لدى بعض الساسة السنة عبر تزلّفهم للشيعة في مواسم عاشوراء، فهذا ممثل السنة في مجلس الحكم عدنان الباجة جي يتملق الشيعة بتصريحه لوسائل الإعلام أنه فعل كذا وكذا على المذهب الشيعي، ووزير الدفاع العراقي عبد القادر العبيدي شوهد يضرب صدره في ذكرى عاشوراء تقربًا لعبد العزيز الحكيم ونوري المالكي، وهذا أحد قادة الصحوات يقول علنا: إن سُنيّتنا اليوم ليست مكسبًا، وآخر في حزب إسلامي يقول: لا بأس أن يكون حال سُنة العراق مثل سنة إيران! وهي تصريحات وممارسات تدل على الضعف، وعلى ظهور ظاهرة التقية عند ساسة السنة.

ومما شجع على انتشار هذه الظاهرة بين عامة السنة في مواسم عاشوراء قيام عبد العزيز الحكيم، زعيم المجلس الشيعي الأعلى، بوضع مكافأة مالية لكل من يوزع الأكل لزائري الحسين في موسم عاشوراء، وكان يشجع ويغري السُنة على فعل ذلك، خاصة في المناطق المختلطة.

كما أن الخوف من ظلم الشيعة وبطشهم، والطمع بما عندهم من أموال جعلا بعض السنة يضع في واجهة بيته علما أسود حزنا على الحسين، تشبها بالشيعة، ويعلّق صورا لعلي أو الحسين أو أخيه العباس، رضي الله عنهم، على واجهة الدار أو المحل، حتى صار بعض السنة يتسابق على عمل الأكلات الخاصة بهذه المناسبة كـ (الهريسة) و(القيمة)، وغير ذلك من أطباق يوم عاشوراء، أو يلبس السواد، كل ذلك خوفًا ومجاملة أو بحجّة مشاركة إخواننا الشيعة مآسيهم وذكرياتهم ومراسمهم وطقوسهم.

ولأن الحكومة شيعية بامتياز، والجيش والشرطة

(*) كاتب عراقي.

(١) وهو تفكير صحيح، ويفضل تفكير كثير من السنة الذين اهتموا بهداية الشيعة دون الاهتمام بتحصين السنة.

(٢) انظر كتابنا: عودة الصفويين، وقد نشرته مجلة الراصد إلكترونيا وورقيا، وطبعته مكتبة الإمام البخاري بالقاهرة.

(٣) سبق أن تناولنا في الأعداد ١٢٧،١٢٦ من الراصد، ظاهرة التسنن عند الشيعة، حيث شكل عشرات الألوف من الشيعة المتسننين ظاهرة أقلقت الأحزاب الشيعية؛ لذا كان هؤلاء المتسننون من أوائل المستهدفين بالقتل والتصفية على يد الميلشيات الشيعية مثل قوات بدر وجيش المهدي منذ بداية الاحتلال.

منهم، والميليشيات والأحزاب الدينية الشيعية موجودة في اتحادات الطلبة في الجامعات والمعاهد حيث صبغت الجامعات بنوع من الهيمنة الشيعية عبر متابعة من ينتقد التشيع مما زرع الخوف في نفوس الطلبة السنة وجعل كثيرا منهم يساير الشيعة في طقوسهم، ولا ننسَ ما فعله الشيعة من ظلم بحق السنة بعد عام ٢٠٠٦ من مذابح بعد تفجير قبة العسكريين. هذا من جهة الشيعة.

أما سنيًا فإن إجرام تنظيم القاعدة بتنفيذ التفجيرات العشوائية في الأسواق والقتل الجماعي، ولّد ردة فعل لدى المجتمع السُني، خاصة عند المثقفين، ضد الدين بشقيه السني والشيعي، فنتج جيل متحلل لا يعرف الفروق بين السنة والشيعة، وأخذ يذم القاتل والمقتول ويساوي بين الجلاد والضحية؛ فحصلت حالات زواج كثيرة بين السنة والشيعة، كما تشيع البعض من هؤلاء ولو شكليا بحجّة عدم وجود فوارق بين المذهبين!

أما في مناطق العشائر السنية التي تسكن قريبا من عشائر شيعية فالتوجهات العشائرية غالبا ليس لها صلة بالدين، وعندها أن الانتماء العشائري أهم من المذهب والديانة؛ لذا كان الأمر أوسع بكثير في التساهل والتماهي مع المناسبات الشيعية ووجود مصاهرات عديدة دون الالتفات للدين.

وبذلك نتج عن مخطط العنف والبطش الشيعي بالسنة ظاهرة جانبية لم تكن في البال وهي ظاهرة تشيع بعض السنة! ولكي ندرس أسباب هذه الظاهرة نقول باختصار:

١- أولا ما قاله العلامة ابن خلدون في مقدمته: (المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب: في شعاره، وزيّه، ونحلته، وعوائده)، وما سماه المفكر المعاصر مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، فالفرد المغلوب والمستعمَر يستبطن مفاهيم غالبه ومستعمرِه ويقبل بالحدود التي رسمها لشخصيته هذا المستعمِر، وليس ذلك فحسب، بل يصبح يدافع عنها ويكافح ضد إزالتها[1]، وهذا ما أصاب بعض السُنة من شعورهم بالهزيمة أمام الطغيان والظلم الشيعي، فجعلهم يتشيعون ولو تقية في البداية!

٢- قلّة الوعي بحقيقة الفكر الشيعي عند الجمهور السني، فمنذ تكون دولة العراق الحديثة سنة ١٩٢١م وثقافة الجمهور العراقي وخاصة السنة تتشكل من الفكر القومي والوطني والشيوعي، وهذه الأفكار الثلاثة لها دور في تخدير وعي السُنة تجاه الخطر الشيعي، وكان حصاد ذلك واضحًا بعد الاحتلال الأمريكي، بل لولا لطف الله وممارسات الشيعة القذرة وغباؤهم لكان تشيّع غالبية السنة سهلا جدًا، لكن حقد الشيعة تحوّل إلى أمر لا نعبّر عنه إلا بقولنا: ربَّ ضارة نافعة.

٣- التدين في المجتمع العراقي ضعيف قياسًا ببقية الدولة العربية؛ كمصر، والأردن، فضلا عن دول الخليج، والنُفرة من الدين تزداد يومًا بعد يوم بسبب سلوكيات الأحزاب الدينية السُنية والشيعية ودورها في تدمير العراق؛ ونتيجةً لذلك انتشرت ظاهرة الإلحاد، وأصبح التوجّه نحو الشيوعية من جديد.

٤- بعض الثقافة الدينية السُنية، خاصة الحزبية، لا تحمل وعيًا كافيًا بخطر التشيع وعدوانه، فلا ترتب أولويّاتها على مواجهة هذا الخطر، بل جلّ اهتمامها هو نصرة حزبها وحصولها على مكاسب سياسية ووظيفية ومالية.

دور النخب والقيادات السُنية بعد الاحتلال في ظل غياب الوعي السني:

ساهمت النخب السنية في تذويب الخطر الشيعي والتعمية عنه، وعدم توعية أهل السنة بالخطر الشيعي الحقيقي، وقد جرّب أهل السُنة في بداية الاحتلال الخروج بمظاهرات تنادي (إخوان سنة وشيعة وهذا الوطن ما نبيعه)، ولم ينفع هذا الخطاب مع الشيعة.

وتبنّت هيئة علماء المسلمين بقيادة د. حارث الضاري، رحمه الله، فكرة عدم التفريق بين السنة والشيعة (فكرة الوطنية والمواطنة) وأن مقاومة المحتل أولوية عند جميع العراقيين– وهو يعلم علم اليقين إن لا مقاومة على الأرض سوى للسنة- كما تبنّت فكرة أن الصراع بين الشيعة والسنة سياسي، ولذا اشترك بالهيئة عدّة شخصيات شيعية مثل جواد الخالصي، وحسين المؤيد لتعطي الهيئة لنفسها صبغة وطنية زائفة؛ رغم أن جواد الخالصي كان يحمل الجنسية الإيرانية وعَرفت الهيئة حقيقته فيما بعد، والشيخ حسين المؤيد أراد إعلان

---

(١) القابلية للاستعمار في العالم الإسلامي، ساكري البشير، موقع مجلة البيان، ٢٠١٦/٦/٢١م.

تسنّنه، لكن الشيخ حارث الضاري طلب منه أن لا يعلن عن ذلك كي يبقى ممثلا للشيعة داخل الهيئة[1].

وحاولت الهيئة – مع الأسف- التقليل من الخطر الإيراني والشيعي[2]، وزعمت أن الخطر الوحيد هو الخطر الأمريكي، وبخروج المحتل ستخرج الأحزاب الإيرانية والشيعية، وقد أثّرت هذه النظرة في المجتمع السني، ودعمَها وساندها حزب البعث وأصحاب التوجهات القومية، وبدأ منع أي كلام عن الاضطهاد السني؛ كما أن السنة كانوا يشعرون بشعور أبوي تجاه إنقاذ العراق، وأن من يتلاعب بالوطن العراقي من الشيعة والكرد يتم علاجهم بالرؤية الوطنية؛ لذلك رفض السُنة عام ٢٠٠٥ الدستور الجديد لوجود الفيدرالية فيه، والتي تبنّاها الشيعة في وقتها؛ ورفضها السنة لتأثير الرؤية الوطنية والقومية على تفكير الشارع السني وأن ذلك يعتبر تمزيقا وخيانة للوطن.

وقد انعكست تلك الرؤية على الفصائل التابعة لهذه التوجهات؛ ككتائب ثورة العشرين، في وقتها، وعلى جيش الطريقة النقشبندية بعد سنة ٢٠٠٧م، وعلى المجالس العسكرية والعشائرية التي كانت تدار بين الهيئة وحزب البعث فيما بعد.

وأثرت تلك الرؤية على علماء في هذه التوجهات من أمثال د. بشار الفيضي، وآل السعدي)د. عبد الحكيم وعبد الرزاق وعبد الملك) وغيرهم، وأصبح حديثهم عن العراق كوطن وباسم جميع العراقيين، ورفض الحديث باسم السنة ومعاناتهم.

كما كان هناك تخوف من قبل الحزب الإسلامي (الإخوان المسلمين) في العراق من عودة حزب البعث إلى السلطة؛ لأن «البعث» بدأ بعد ٢٠٠٨م بجمع صفوفه وتنظيماته، وتولّد صراع قوي بين الحزب الإسلامي وحزب البعث، وكان هناك تحالف قوي بين حزب الدعوة، والحزب الإسلامي لمنع عودة حزب البعث، منذ الأيام الأولى للاحتلال، وفي تبادل الأدوار السياسية؛ لذا كان سكوتهم عن خطر التشيّع سياسة مقصودة، مع موقفهم النابع من رؤية حسن البنا، رحمه الله، في قضية التقريب.

وكانت مواقف الحزب الإسلامي سيئة في تعاطيه للشأن السياسي، وكان ممثلا غير جيد للسنة، مما انعكس سلبا على القضية السنية؛ وأصبحت مطالب السنة كأنها مطالب للحزب الإسلامي أو هكذا أريد لها.

ورغم أن المقاومة أغلبيتها سنية وذات حس سني إلا أنّ همّها الأول كان إخراج المحتل الأمريكي فقط، دون الاهتمام الكافي بالتوسع نحو العدو الإيراني وأدواته، ولم تفكر بكيفية معالجة ذوبان المجتمع السني بالتشيع الذي بدأ. كل ذلك جعل السنة - نخبًا وأفرادا- يسهل ذوبانهم داخل المد الشيعي.

ظهور مقاومة سُنية لهذا الفكر:

لا يعني هذا أن وعيًا سنيًا لم يكن موجودا على مستوى الجماهير والنخب، فبعد مرور ٨ سنوات على الاحتلال حصل وعي لدى عدة مستويات من النخب والجمهور لمواجهة العدوان الشيعي الناعم والخشن، وبالتحديد بعد إعادة انتخاب المالكي من جديد، في ٢٠١٠م؛ لذلك بدأ التفكير بتكوين مشاريع تراعي الوجود السني وتحصّن أهل السُنة من الذوبان في المخطط الشيعي أو التشيع.

فبدأ مشروع تشكيل مكونات سنية سياسية، وكاد أن ينجح ذلك سنة ٢٠١٢م، لكن عدم التوافق والتسابق على الزعامة من قبل الحزب الإسلامي وبعض الفصائل المسلحة، مع عوامل أخرى، أفشلت المشروع، ومع ظهور الاحتجاجات السنية، خاصة في الأنبار خلال سنة ٢٠١٣ جعلت أهل السنة يركنون إليهم في تحقيق مشروعهم، لكن قضى عليها المالكي بهجوم عسكري.

ظهور داعش:

في أواسط ٢٠١٤ م ظهر تنظيم داعش وخُدع به أهل السنة في البداية لكن سرعان ما كشف الزمن زيف داعش، وتفاقمت نحو الأسوأ أحوال أهل السنة بما لم يسبق من قبل في جميع المحافظات السنية، فهجّر أهل السنة بالملايين، وأصبحوا في حالة من القنوط واليأس؛ فشعب كامل مهجّر في كردستان في الخيام، والبيوت المهجورة، والهياكل.

---

(١) أخبرني بذلك صديق لي قبل كتابة هذا المقال نقلا عن حسين المؤيد نفسه.

(٢) هناك مقال دقيق في مجلة الراصد بقلم: سمير الصالحي، في العدد ١٤٢، سنة ١٤٣٦هـ، بعنوان: مَن يعرقل المشروع السني؟

نموذج من التشيع في الأنبار وصلاح الدين:

بعد انتهاء عمليات الرمادي والفلوجة قام بعض صوفية الأنبار بزعامة خالد الملا[1] بتأسيس مجلس علماء الرباط المحمدي، لنشر ما يسمّى (الإسلام المحمدي) في محافظة الأنبار، وقد بثّت قناة «العراقية» الشيعية ٢٠ حلقة باسم الإسلام المحمدي، قدّمها عبد القادر بهحت الألوسي، صاحب تكية الألوسي في الفلوجة، ومحمد نوري العيساوي، إمام وخطيب جامع النبي يونس في الفلوجة، وهما من أعضاء مجلس علماء الرباط المحمدي، ومعهم الشيخ ظافر العبيدي، وهو معروف بتهجّمه على الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لأنه شيعي يدعي التسنن، حيث ثبت أنه مسؤول الإسناد لحزب الدعوة الشيعي في الفلوجة، وكان ضمن لجنة المفاوضات الثانية مع الأمريكان في الفلوجة.

كما تشكّلت رابطة مبلغي صلاح الدين من مجموعة شيوخ سُنة يرافقون العمائم الشيعية لغرض التوعية الدينية!

معركة الموصل نموذج جديد لنشر التشيع:

عندما انطلقت معركة الموصل في جانبيها الشرقي والغربي، ولتفادي ما جرى من جرائم شيعية طائفية ضد السنة في بقية المحافظات، تمّ الاتفاق على عدم مشاركة الحشد الشعبي (الشيعي) في المعركة، فضغطت كل من تركيا وأمريكا وبعض الدول على حكومة العبادي، وتمّ التوافق على ذلك، وبقي الحشد متواجدا خارج المدينة، قرب مدينة تلعفر، التي تعدّ هدفا عسكريا إيرانيا مهما، وكذلك لوجود شيعة فيها.

اقتصر دور الحشد خارج الموصل على عملية الإغاثة، وبدأت التصريحات الرسمية وغير الرسمية بالإعلان والترويج عن دور المرجعية والحشد في إغاثة الهاربين والنازحين من مدينة الموصل في نوع من الدعاية للحشد.

وبذلك وظفت إيران الحشد لكي تعطي صورة مغايرة لأهل الموصل عن طائفية الحشد في تمهيد لكسب مجموعة من شباب الموصل للتشيع بأي صورة من الصور، خاصة وأن كثيرًا من شباب هذه المناطق يحتاج إلى لقمة العيش والمعونة والرحمة، وقد قامت الأحزاب الشيعية بفتح مراكز لأحزابها هناك لتشجع شباب الموصل على الانتماء للأحزاب الشيعية، ولو بقوا على المذهب السني!

وقد نقلت أخبار عن تشيع عدد من العوائل وبعض الشباب، ولو كان تشيعا شكليًا أو مؤقتا، بسبب الخوف أو بسبب الحاجة والفقر والنزوح والعيش بالعراء بدون أمل في المستقبل مما يجعل المرء يتنازل عن الكثير، لا سيما وأن أهل الموصل غير مُحصنين ضد الفكر الشيعي، فالفكر العروبي الوطني هيمن على العقلية العراقية، والموصلية بالتحديد.

في المقابل فإن داعش قدّم أبشع صورة للإسلام وأهل السُنة، بما يفوق تشويه المستشرقين والحاقدين على الإسلام، مما يفتح الباب لإيران التي تبحث عن المَواطن الرخوة لتنشر أفكارها المنحرفة خلف شعارات الإغاثة الإنسانية والمساعدة الطبية والغذائية.

حيث تقوم منظمات الإغاثة الشيعية في المناطق التي سيطرت عليها الحكومة في محافظة صلاح الدين وفي مناطق الموصل بإغراء الشباب السني بالعمل معها مقابل أجور وتسحبهم تدريجيا نحو التشيع، فكما تستخدم التشيع السياسي في بعض الدول، فهي في العراق تستخدم التشيع الوظيفي والمعاشي، ولو كان المقابل يفعل ذلك حاجة واضطرارًا، لأنها تريد أن يكون لها وجود في محافظة نينوى وما حولها، وتريد موطئ قدم بأي ثمن.

أما مسألة مقاومة هذا التشيع فسنسلط الضوء عليه في الحلقة القادمة بإذن الله.

(١) من المعممين السنة ومن أهالي البصرة، عرف في النظام الاسبق كوكيل للأمن العام، وبعد الاحتلال أصبح وكيلا للمجلس الأعلى، علاقته قوية بمنظمة بدر، ويعتبرونه ممثلا عن سنة البصرة وغيرهم، عمل مع د. عبد اللطيف الهميم، وصلاته قوية بإيران.

طاهر بومدرا خبير القانون الدولي: نظام "الملالي" في إيران قائم على تصدير الثورة إلى الآخرين... والاعتداء على دول الجوار

أجرى الحوار: شريف عبد الحميد(*)– خاص بالراصد

قال طاهر بومدرا، الخبير المتخصص في القانون الدولي وحقوق الإنسان، المستشار السابق للمبعوث الأممي إلى العراق ورئيس مكتب حقوق الإنسان عن وضعية مخيم «ليبرتي»، إن نظام «الملالي» الحاكم في إيران قائم على «تصدير الثورة» إلى الآخرين، وهو يؤسس دستوريا للاعتداء على دول الجوار، مؤكدا أن الأوضاع المضطربة في العراق وسوريا ولبنان واليمن تسببت فيها الاعتداءات التي يقوم بها «الحرس الثوري» الإيراني.

وأضاف «بومدرا» في حواره لمجلة «الراصد» على هامش مؤتمر «الأمة والسنّة» الذي عقد مؤخرا في إندونيسيا، أن «طهران» نفّذت تصفيات جسدية على نطاق واسع ضد المعارضين تدخل تحت بند «جرائم الإبادة الجماعية»، ومن الممكن محاكمة المسؤولين عن هذه الجرائم بالقانون الدولي.. وإلى الحوار:

❖ كيف ترى العلاقة الملتبسة حاليا بين النظام الإيراني ودول الجوار العربي والإسلامي؟

- نلاحظ أن هناك هجوما عنيفا في الآونة الأخيرة ضد العالم العربي والإسلامي بصفة عامة من طرف نظام «الملالي» الحاكم في إيران، خصوصا أن هذا النظام قائم على ما يسمى مفهوم «تصدير الثورة» إلى الآخرين والاعتداء على دول الجوار، التي لم تبدِ أي «بادرة مقاومة» لهذا التوجه العدواني حتى الآن.

❖ فما أسباب هذا التوجه الإيراني في تقديركم؟

- الحقيقة أن هذا البلد أسس لنظام عدواني من طرف دستور يجبر «الملالي» على تصدير ثورتهم والعمل على خلق بؤر للتوتر والاعتداء على البلدان المجاورة، والأدلة على ذلك كثيرة، إذ يكفي الإشارة إلى ما يحدث في العراق وسوريا ولبنان واليمن، فالأوضاع المضطربة في كل هذه الدول تسببت فيها الاعتداءات التي تقوم بها حكومة الملالي في إيران بواسطة ما يسمى «الحرس الثوري» و«فيلق القدس». ولا جدال أن هذه الاعتداءات مخالفة للمواثيق الدولية، وبالأخص ميثاق الأمم المتحدة الذي يفتح باب العضوية للدول المحبّة للسلام وتلك التي تقبل حل النزاعات بشكل سلمي.

❖ هل صحيح أن هذه الممارسات العدوانية «مؤسّسة دستوريا»؟

- هناك نقطة أساسية يجب الإشارة إليها هنا، وهي كون الدستور الإيراني يؤسس لجيش عقائدي، وهذا الجيش ذو طبيعة مزدوجة، فهناك الجيش الرسمي و«الحرس الثوري»، الذي تتمثل مهمته بالدفاع عن استمرار نظام الملالي وتصدير الثورة إلى الخارج، والتدخل في شئون الدول الداخلية عن طريق «فيلق القدس» ومليشيات أخرى لا يمكن وصفها إلا بالإرهاب، وهي منظمات ترهب الشعب الإيراني داخليا، كما ترهب الشعوب العربية والإسلامية خارج إيران، على السواء.

وعليه، يمكن إدراج مثل هذه المنظمة «الحرس الثوري» في قائمة الإرهاب الدولي، بحيث يصعب عليها أن تمارس سياسة التدخل في شئون الدول بالطريقة التي نراها اليوم، فهي تتدخل في بعض الدول المجاورة لإيران دون أي محاسبة أو عقاب، لكن إذا أُدرجت في قائمة الإرهاب فحينها ستتوقف عن التدخل في الشئون الداخلية للدول، وستصبح حركتها «محدودة».

❖ وكيف يمكن تحقيق ذلك؟

- على العالم العربي والإسلامي أن يعي جيدا كون إدراج «الحرس الثوري» كمنظمة إرهابية باتت مهمة أساسية، يمكن أن تحقق نتائج على أرض الواقع من خلال القانون الدولي وعبر أجهزة الأمم المتحدة.

وما دام الدستور الإيراني يؤسس للتدخل في الشئون الداخلية للدول المجاورة، ويؤسس لتصدير الثورة، فإن هذا يرتقي لكونه «مشروع اعتداء»، ويصنِّف القانون الدولي مثل هذا الاعتداء تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

(*) كاتب مصري.

❖ يتساءل الكثيرون: لماذا لم تُفرض عقوبات صارمة ضد نظام الملالي بناء على هذا «البند السابع» من ميثاق الأمم المتحدة؟

- أعتقد أن هذا يعتبر نوعا من الفشل العالمي، فقد فشل المجتمع الدولي في مراقبة هذه الدول التي تبنّت «تصدير الثورة» وسعت إلى التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى.

وكان من المفترض أن تُدرس هذه الوضعية تحت البند السابع للميثاق الأممي، ولكن موازين القوى داخل الأمم المتحدة لم تسمح باتخاذ قرارات ملزمة ضد هذا البلد، غير أن موازين القوى هذه عادةً ما تتغير، وما هو غير ممكن اليوم قد يصبح ممكنا في المستقبل، وبالتالي قد يَسمح الوضع الدولي مستقبلا باتخاذ قرارات ملزمة في هذا الملف الخطير، وعلى الدول المعنية في المنطقة أن تجنّد أجهزتها لهذا الغرض، وأن تخلق «اللوبي» الكافي لتحقيق الإجماع داخل مجلس الأمن الدولي لفرض العقوبات بقرارات ملزمة على النظام الإيراني.

❖ فما هو هدف «طهران» النهائي من وراء ذلك؟

- يسعى نظام «الملالي» إلى تحقيق مشروعه للهيمنة الداخلية والخارجية معا، وهذه الهيمنة دفعت النظام إلى ارتكاب جرائم بشعة داخل إيران نفسها، حيث ارتُكبت تصفيات جسدية على نطاق واسع ضد المعارضين تدخل تحت بند «جرائم الإبادة الجماعية»، وهي جرائم ضد الإنسانية عموما، ومن حق العالم مساءلة مرتكبيها أمام الرأي العام العالمي أولا، وأمام المحاكم الدولية ثانيا، وفق القانون الدولي.

أما بالنسبة للجرائم المرتكبة خارجيا، فإن هناك صنفين من الجرائم ارتكبت من طرف نظام الملالي، وهما:

أولا: الاغتيالات التي قام بها النظام لأشخاص في الداخل والخارج معا.

وثانيا: التعدي على بعض الدول من أجل بثّ الفتنة وخلق بؤر للتوتر فيها، وهو الأمر الذي يخلق الفرصة لـ «الحرس الثوري» للتدخل، كما يحدث في سوريا.

وفي العراق، كمثال آخر، تم تشكيل ما يسمى بـ «الحشد الشعبي»، والحقيقة أن هذا الحشد ما هو إلا امتداد للحرس الثوري، وعليه يؤسفنا القول إن الشعب العراقي يتعرض حاليا لكثير من المجازر المرتكبة من طرف «الحرس الثوري» الذي يمثله «الحشد الشعبي» على أرض الواقع.

❖ ماذا عن رد الفعل الدولي تجاه هذه الجرائم المستمرة؟

- من المعلوم أن نظام «الملالي» كان خاضعا لعقوبات دولية، كما فُرضت عليه عقوبات اقتصادية نتيجة سعيه الحثيث إلى امتلاك أسلحة دمار شامل، وبالأخص الأسلحة النووية.

وفي عام ٢٠١٥ جرت مفاوضات بين هذا النظام والدول الكبرى المعروفة بـ «٥+١» توصلت إلى اتفاقية ورفع العقوبات إذا قبلت إيران التوقف عن العمل في برنامجها النووي.

ولكن الجميع يعلم أن وعود النظام الإيراني مجرد حبر على ورق، ولا يمكن الثقة بها، لأنه لن يحترم وعوده الدولية، وهو عادة ما يعِد بالكثير ويلتزم بالقليل، لهذا كان المفروض أن تستمر العقوبات الاقتصادية الانتقائية ضد الأشخاص وبعض المؤسسات الإيرانية لردعهم وتوقيفهم عن ممارسة السياسة العدوانية ضد الدول التي يكون فيها الأغلبية سنية.

❖ ما هو دور المعارضة الإيرانية في هذا الصدد؟

- الحقيقة إنه إذا كانت دول الجوار لم تأخذ هذا الأمر بالجديّة الكافية، ولم تطرح هذه القضية على مجلس الأمن الدولي، فإن المعارضة الإيرانية في الداخل والخارج تمكّنت من خلق رأي عام ضد ديكتاتورية «الولي الفقيه» الذي جعل من منطقة الشرق الأوسط منطقة توتر وبؤرة لكل الخلافات، ومن الممكن التعويل على مساهمة المعارضة الإيرانية في زعزعة نظام الملالي.

التصوف السوداني وزيارات أئمة الحرمين...
صلاح البدير في سنّار نموذجاً

د. محمد خليفة صديق(*)- خاص بالراصد

مقدمة:

لم يكن اختيار مدينة سِنَّار السودانية عاصمةً للثقافة الإسلاميةِ لعام ٢٠١٧م عن المنطقة العربية من بابِ المصادفةِ، فقد مثَّل قيام مملكة سنَّار الإسلامية (١٥٠٤م- ١٨٢١م) على أنقاض مملكة سُوبا المسيحية في السودان آنذاك؛ علامةً مضيئةً في رفعِ رايةِ الإسلامِ والحفاظِ على الموروثِ الإسلامي بعد سقوطِ دولةِ الأندلسِ عام ١٤٩٢م، ونقطة تحوّل وفاصلة حضارية مهمة بدلالاتها الفكرية والثقافية في اتجاه تكوين المجتمع السوداني الجديد، فقد كان قيام هذه الدولة الإسلامية بعد سقوط الأندلس مباشرة، رسالة واضحة أن إفريقيا تفتح ذراعيها للإسلام، بينما تطارده أوروبا بمحاكم التفتيش، واستمرت سِنار ترفعُ هذه الرايةَ لأكثرَ من ثلاثمائةِ عام.

ومن ثم أصبحت سنار بموقعِها الجغرافيِّ في صدرِ السودانِ وبتركيبتِها السكانيةِ التي استوعبت جُلَّ الأعراقِ السودانيةِ عنواناً للبلادِ ومركزاً مهماً للإشعاع الثقافيِّ والإسلاميِّ في أفريقيا، كما جسَّدت التّمازجَ العرقي والثقافي في ظلِ روح التسامح الإسلامي، بل وصارت دلالة هذا الاسم تنسحب على كل أنحاء السودان، فأشارت المصادر التاريخية إلى الأوقاف السِنارية في المدينة المنورة، ورواق السنَّارية في الأزهر، والقافلة السنَّارية في طريق القوافل التجارية، وكل تلك الإشارات تدل على عموم السودان، بل عُرِفَ أهل سودان وادي النيل في الحجاز والعالم الإسلامي في عهد مملكة سنَّار بالسِنَّارية؛ أو السنانير، وقد اقترح في فجر استقلال السودان اسم سِنَّار للدلالة على السودان الوليد، إلا أن الرئيس إسماعيل الأزهري فضل اسم «السودان» الذي عُرِفت به البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

صارت مملكة سِنار أو السلطنة الزرقاء أكبر نطاق جغرافي متحد في وادي النيل الأوسط منذ مملكة مروي القديمة، وصارت العاصمة سِنَّار مدينة لا يستهان بها، لها علاقات مع معظم إفريقيا وأجزاء من بلاد آسيا مثل الجزيرة العربية والهند وبنغلاديش، وأصبحت قوة ضاربة لنشر الإسلام والعلم في البلاد، كما استفادت من التراث المعماري لدى سكان الشمال، الموغل في التاريخ إلى الحضارات القديمة في نبته ومروي، وعمِّرت الديار عماراً عظيماً حتى أصبحت وجهة مقصودة من كل الجهات، وصارت من كبرى مدن إفريقيا كما ذكر ذلك كثير من الرحالة الأوربيين، وغيرهم.

وجاء اختيار سِنَّار عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٧م، بمثابة إضافة حقيقية للرصيد التاريخي والثقافي للأمة السودانية، وامتداداً طبيعياً للدور الذي ظل يضطلع به السودان في الحفاظ على الثقافة الإسلامية على مدى التاريخ، وتُعد هذه الفعالية فرصة لإبراز الدور الحضاري لهذه المدينة والتعريف بها ومؤهلاتها، وضمن هذا الإطار جاءت زيارة الشيخ الدكتور صلاح بن محمد البدير، إمام وخطيب المسجد النبوي، وقاضي محكمة الاستئناف بالمملكة للمشاركة في افتتاح فعاليات سِنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧م، وإلقاء خطبة الجمعة في مسجد مدينة سِنار العتيق، حيث حضر الشيخ افتتاح الفعالية بحضور النائب الأول لرئيس جمهورية السودان رئيس مجلس الوزراء، الفريق أول بكري حسن صالح، ود. عبد العزيز التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (أيسيسكو)، ود. عصام البشير، رئيس مجمع الفقه الإسلامي السوداني، وعدد من الوزراء، ووالي سنار الأستاذ الضو الماحي، وعدد من وفود الدول الإسلامية والعربية.

الفريق أول بكري حسن صالح شكَرَ تشريف إمام الحرم المدني ومدير المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وكل ضيوف البلاد من شتى أنحاء العالم لهذه الفعالية، وقال إن السلطنة الزرقاء كانت أقدم دولة إسلامية في شرق إفريقيا، وأول دولة إسلامية كاملة النسق شكلت سودان اليوم، وأضاف أن سنار هى ذخيرة تاريخية فى الحكم والإدارة والتعدد الثقافي والوسطية، بينما أكد الدكتور التويجري أن اختيار العواصم الثقافية يخضع لمعايير دقيقة، مؤكدا أن سنار من

(*) كاتب سوداني.

الحواضر العريقة ذات الحضور الفاعل في السودان.

يناقش هذا المقال محتوى خطبة الجمعة المثيرة للجدل، التي ألقاها الشيخ البدير في مسجد سِنّار العتيق، والأثر الذي تركته خطبة البدير على مجتمع مدينة سِنّار وما جاورها، والسودان عامة، وبرنامج عاصمة الثقافة الإسلامية، كما يناقش المقال البيانات التي صدرت من جهات وقيادات الصوفية ضد خطبة البدير، وهل وجدت تعاطفا شعبيا أو حكوميا أم أنها مجرد فرفرة مذبوح؟ كما يتطرق لموقف الحكومة من خطبة الشيخ البدير وتغاضيها عن محتواها، وهل يمثل ذلك تراجعا حكوميا عن دعم التصوف؟ وهل هناك تراجع أم تقدم في حجم الوجود الصوفي في السودان؟

خطبة البدير في سِنّار:

خطبة إمام وخطيب المسجد النبوي الشيخ صلاح البدير في مسجد مدينة سنار العتيق كانت في نفس يوم انطلاق فعاليات سنار عاصمة للثقافة الإسلامية، حيث ألقى خطبتي الجمعة وصلّى بالجموع التي شهدت الفعالية، ورأى المواطنون أن مشاركة إمام الحرم المدني، وإمامته للمصلين في صلاة الجمعة بمسجد سنار العتيق هي أبرز ميزات هذه الفعالية، حيث شهدت مدينة سنار وساحات مسجدها العتيق حضورا غير مسبوق، حيث اصطف المصلون في كل المساحات بالداخل والخارج، وحول المسجد، وتراصّت الصفوف متجاوزة المكان المحيط بالمسجد لمسافات بعيدة، حيث توافد المواطنون من قرى ومدن سنار، بجانب مواطنين من ولايات الجزيرة والنيل الأزرق والنيل الأبيض والخرطوم، لصلاة الجمعة في منظر مهيب وغير مسبوق في تاريخ المنطقة، حيث اصطفت الجماهير الغفيرة من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال، وكان الكل يتزاحم من أجل الحصول على موقع يستمع منه لخطبة إمام الحرم النبوي، فكانت هذه الخطبة حدثا سجله التاريخ في مدينة سنار العتيقة.

تركزت خطبة الشيخ البدير في الدعوة لاتّباع ما ورد بالقران الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث قال: أيها المسلمون: أحصن الجُنة لزومُ الكتاب والسنة على نهج سلف الأمة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ- : «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي» أخرجه الحاكم، وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- : «لن تضلَّ ما أخذت بالأثر».

وتضمنت الخطبة نقدا لاذعا للتعلق بغير الله، حيث ذكر البدير أنه: «من البدع العظيمة والآفات الشنيعة تعلّق بعض المسلمين بالأضرحة والأموات، يستغيثون بهم ويدعونهم وينادونهم من دون الله، ويسألونهم كشف الكربات ودفع البليات.. ففي العالم الإسلامي قبور تُحج وتُقصد ويُذبح لها ويُسجد ويُعفر عندها الوجه والخد، ويُطلب منها العون والمد والغوث والنهد، أفعال تناقض دين نبينا وسيدنا محمدٍ - ﷺ - .. فيا سبحان الله.. كيف أوجبوا لها الشركة في العبادة، وهي لا تملك نفعاً ولا ضراً ولا تجلب خيراً ولا تدفع شراً ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ❁ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]، ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٥٦].

ودعا الشيخ البدير المصلين خلال خطبته إلى أن يكون الولاء لله وحده، داعيا إلى الجماعة ونبذ الفرقة، داعيا إلى وحدة الكلمة وجمع الصف والاعتصام بحبل الله، قائلا: كم من وطن اختلف أهله وافتتن ناسه لم يكسب سوى الشتات والفتنة، وأن يكون الناس خلف إمامهم، داعيا إلى مواصلة الأرحام، مؤكدا قوة الإسلام مهما تكالب الأعداء عليه، داعيا إلى تطبيق شرائع الله والتعايش بسلام وحسن المعاملة والتعافي والصفح لوجه الله تعالى وأن يقبل كل منا عذر الآخر، وأوصى بتقوى الله والابتعاد عن الغش والغيبة والنميمة، ودعا جماهير السودانيين للالتفاف حول قيادتهم، موضحا أن ذلك سيفوّت الفرص على المتربصين والأعداء، ويزيد في الأمن والرخاء، داعيا الله أن يحفظ السودان من كل سوء وسائرَ بلاد المسلمين.

وعقب صلاة الجمعة تحدث الداعية المعروف الدكتور عصام البشير، رئيس مجمع الفقه الإسلامي السوداني، ووزير الأوقاف الأسبق مؤكدا أن سنار تعتبر مثالاً لتحقيق التسامح والتصالح بين المكونات وصهرها في

بوتقة واحدة، مبيناً أن سنار عاشت مبدأ التنوع في إطار الوحدة وقدمت نموذجاً للسلم الاجتماعي، محققة التعايش في أبهى صوره. ودعا إلى حقن الدماء واستلهام التجربة السنارية في التعايش، لافتا إلى أن الأمم التي لا تعرف ماضيها لن تستطيع معايشة حاضرها. وأشار د. البشير إلى دور سنار في تخريج الأئمة والفقهاء في أصول الشريعة، معرباً عن سعادته بحضور إمام الحرم المدني هذا الاجتماع المبارك.

أثر خطبة البدير على مجتمع سِنّار وما جاورها:

تركت خطبة الشيخ البدير أثرا بالغا على مجتمع مدينة سِنّار وما جاورها والسودان عامة، وكانت هذه الخطبة ومحتواها العلمي حدثا سجله التاريخ في مدينة سنار.

وكان التفاعل مع الخطبة ومحتواها هو السمة الغالبة لجموع المواطنين، حيث عبّروا عن تقديرهم لعلم الشيخ البدير ونصائحه القيمة التي استدل عليها من الكتاب والسنة، ولم يخالف المنهج النبوي الذي يخطب به في منبر النبي ﷺ في المدينة المنورة، وأكد كثير من المواطنين أنهم سيراجعون كثيرا من مواقفهم وفق ما جاء في خطبة إمام المسجد النبوي.

الجهة الوحيدة التي تململت من الخطبة هي بعض قيادات التصوف في المنطقة والسودان، وسبب غضب هؤلاء يعود إلى أن إمام الحرم المدني دعا إلى الحفاظ على جناب التوحيد بعيدا عن عبادة القبور ودعاء الموتى، وهو ما يتعارض مع أسس المنهج الصوفي القائم على الاعتقاد في الأموات، ونهج القوم الذين ستقطع عنهم أبواب الرزق الذي انفتح عليهم من سدانة القباب والأضرحة والمقامات والبيانات وصناديق النذور التي استغلوا فيها البسطاء؛ فسلبوا أموالهم واستولوا على ممتلكاتهم.

ردود فعل الصوفية على خطبة البدير:

اتسمت معظم ردود فعل زعامات الصوفية على زيارة الشيخ البدير وخطبته بالسلبية والحدّة والشدة والهجوم اللاذع؛ فتحْت عنوان: «سنار عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٧م، نور علم أم نار فتنة؟»، كتب محمد حسن الفاتح قريب الله شيخ الطريقة السمانية على موقع المجمع الصوفي العام على الإنترنت قائلا: إن من أهم وأوضح المعالم الإسلامية السنارية هو الأثر الصوفي، ووصف خطبة البدير بأنها إساءة للسودان والسودانيين، وأنه استغل أجواء الحرية التي قدمت له، ولم يراجع خطبته، فأحرج من قدموا له الدعوة وأكرموه باعتلاء المنبر، بل سفّه وسخِر من عقائد السودانيين وتاريخهم.

واعتبر قريب الله خطبة البدير بأنها عبّرت عن جهل الخطيب بمواضيع الساعة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، كما عبرت -بزعمه- عن جهله بالسودان وتاريخ الإسلام فيه، وبمعاني البدعة والضلالة والتميمة، وأدلّة زيارة الصالحين ومسائل تتعلق بالحلف المحرم والمكروه والجائز، وقال: «نحن على استعداد لتنظيم دورات تربوية وتعليمية له ولأمثاله ليعرفوا دينهم وأساليب الدعوة له في مسايد ومساجد السودان المنتشرة، وبسند من علماء أتقياء حافظين متقنين للمتون والفنون».

ودعا قريب الله في مقاله المملكة العربية السعودية لإزاحة الشيخ البدير وأمثاله عن المنابر واختيار دعاة الإسلام الحقيقي الوسطي من كافة أنحاء العالم الإسلامي، ودعا جميع مكونات المجتمع السوداني لإعلان استنكارهم وشجبهم للإهانة البالغة التي تعرض لها الشعب السوداني من الشيخ البدير حيث تم الطعن في عقيدته وحضارته وتاريخه، وطالب المجمع الصوفي العام والمجلس الأعلى للتصوف ومشائخه لأن يعبروا عن احتجاجهم وعدم رضاهم عن هذه الإهانات التعريضية والصريحة لعقائدهم السمحة وتاريخهم الناصع المشرف بالأسلوب المعهود فيهم علما وأدبا وسلما، حتى لا تتكرر ظاهرة استباحة منابرنا ليعتليها من لا يستحق ولا يحترمنا.

وكتب أحد الصوفية مقالا قال فيه: (لا بد أن ننظر إلى الفكر الوهابي بأنه دخيل على بلادنا وليس جزءاً من مكوّنات مجتمعنا المعروفة للقاصي والداني، وقد استغلوا المنابر لتضييع الهوية السودانية والقضاء على مكونات ومرتكزات المجتمع، مستغلين في ذلك العمل الإنساني عبر المنظمات والجمعيات، وكذلك التحالف السياسي، وكما أغلقت مراكز الشيعة الثقافية لا بد من حملة شاملة نسميها حملة التحصين والوقاية ضد الشلل الفكري الوهابي). وقال إن المجمع الصوفي العام ينظر إلى الوهابية والشيعة على أنهما سواء في البغي والعدوان والتطرف – حسب زعمه- .

كما أصدر المجمع الصوفي العام بيانا نشره على

موقعه في الفيس بوك ونشره في بعض الصحف السودانية، جاء فيه: (إن المجمع الصوفي العام ليستنكر بشدة ويرفض رفضاً باتاً ما جاء من (سخف) في خطبة (الوهابي السعودي المدعو صلاح البدير)، والتي ألقاها بمسجد سنار العتيق في افتتاح مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧م، ويدين المجمع ما تفوّه به الرجل من ألفاظ التبديع والتشريك والتضليل التي أطلقها على القوم، داعياً إياهم في صلف واستعلاء إلى عدم زيارة أضرحة الصالحين والتبرك بهم، ونهاهم عن لبس الحجاب واصفاً تلك المسائل بأنها من الشركيات.

ووصف البيان خطبة البدير بأنها تثير الفتنة وتشقّ عصا جماعة المسلمين في السودان، وأن خطابه ينمُّ عن جهل بهوية المجتمع السوداني المُوحّد أصالة، والمتصوف سلوكاً والمتسامح أخلاقاً، ووصف البيان سنار بأنها عاصمة التصوف، ومركز للكثير من البيوتات الصوفية العريقة ومعالمها أضرحة الصالحين. وألقى البيان باللوم على الجهة المنظمة لهذه الفعالية باستجلابها لهذا (الوهابي) ليوجه إساءاته لأهل الإسلام في السودان، وطالب البيان الشيخ البدير والجهة المنظمة للفعالية بالاعتذار فوراً للشعب السوداني الذي - بزعم البيان- يمثل الصوفيةُ غالبيته الغالبة التي أساء إليها البدير، ووجه البيان رسالته للحكومة بأن الإساءات قد تكاثرت على الصوفية والاستعداء بات واضحاً جلياً، محذرا من التمادي في هذا السلوك الذي يؤدي حتماً إلى الفتنة وإثارة النعرات ويؤلب النفوس، مما قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه – حسب نصّ البيان- .

وقد كُتبت عدد من الردود على بيان المجمع الصوفي، منها رد عمر حسن بعنوان: الرد المنصف على بيان المجمع الصوفي المجحف، الذي وصف بيان المجمع الصوفي بضعف الأسلوب، كما أنه جاء مليئا بالسباب والشتم وقبيح القول، والتهجم والمهاترة وتعظيم القباب والأضرحة والتهييج على ولاة الأمر، حتى نزل إلى حضيض المن والأذى بما سلف من إحسان دولة سنار إلى الحجاز في زمانها، ولم يشتمل بيان المجمع الصوفي على آية واحدة، ولا حديث ولا أثر عن صحابي ولا كلمة عن إمام، ولا قول لعالم في أي عصر من عصور الإسلام، بينما اشتملت خطبة الشيخ البدير على ثماني آيات من الذكر الحكيم، واثنين وعشرين حديثا نبويا، وخمسة آثار عن الصحابة رضي الله عنهم، وخمسة أقوال من أقوال الأئمة وعلماء الإسلام.

الحكومة والموقف من زيارة الشيخ البدير وخطبته:

من الواضح الرضا الحكومي عن زيارة الشيخ البدير، فالحكومة هي التي دعت الشيخ وكرّمته، واستقبله وزير الثقافة في مطار الخرطوم، وحضر النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء خطبته ولم يعترض على محتواها، سواء بشكل مباشر أو ببيان، كما لم يصدر من الحكومة أي موقف ضد الزيارة أو الخطبة، بل وجد الشيخ البدير الترحيب والتكريم في كل الجهات التي حلّ فيها داخل السودان.

كما استقبل الرئيس السوداني عمر البشير الشيخ البدير ومرافقيه في بيت الضيافة بالعاصمة الخرطوم، ورحّب بالشيخ البدير ومرافقيه في بلدهم وبين إخوانهم الذين يحبونهم ويحبون المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين الشريفين، ويكنون لقيادتها كل تقدير واحترام، وأكد على أهمية وحدة الأمة العربية والإسلامية لمجابهة التحديات التي تواجهها، مؤكداً على الدور القيادي للمملكة.

وشكر الشيخ البدير الرئيس البشير على الاستقبال وكرم الضيافة في بلدهم الثاني ولأصحاب المعالي والفضيلة والشعب السوداني الذين استقبلوه والوفد المرافق معه خلال حضور فعاليات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧ وخطبه وكلماته في عدد من المساجد والملتقيات والجمعيات.

من جهة أخرى، زار الشيخ مجمع الفقه الإسلامي، الذي يتبع لرئاسة الجمهورية، حيث التقى برئيس المجمع د. عصام البشير وقيادات وأعضاء المجمع، واستمع لشرح عن دور المجمع ومهامه وما يقدمه من عمل عظيم في الأمور الشرعية عبر لجانه ومجالسه، وما يلقاه المجمع من دعم ومسانده من الرئيس السوداني، ممّا حقق نقلة نوعية في خدمة المجتمع والمصالح العامة، وفي ختام الزيارة تم تكريم إمام الحرم النبوي الشريف بدرع المجمع الفقهي.

ومما يكشف عن رضا المواطنين ورضا الحكومة عن زيارة الشيخ البدير تكريم وزير الثقافة السوداني الطيب

حسن بدوي للشيخ البدير بإهدائه مصحفا مكتوبا بخط اليـد، يعـود تاريخـه إلى ١٥٠ عامـاً، إضـافة إلى بعـض الهدايا الأخرى.

من الملاحظات التي توضح تدهور علاقة الحكومة بالصوفية ما قاله بعض قيادات الصوفية حول اختيار الحكومة للشيخ البدير وتساؤلهم: لماذا وقع الاختيار على هذا الرجل؟ وهل للعلاقة السياسية مع السعودية دور فى غضّ الطرف عن (الشذوذ الوهابى)، باعتبار أن (الرياض وآل سعود) هـم رعاة هـذه المجموعة التى تسعى بكل جهدها للنيل من المسلمين، والوقوف حربا عليهم ومناهضة لوحدتهم؟، وقال كذلك: ليْتهم إذ أتوا بشخص حجازي أحسنوا الاختيار، وفى بلاد الحرمين العديد من الصالحين ممن لا يؤمنون بالتطرف ولا يدعمونه، بل فيهم أقطاب من التصوف ورجالات التربية والسلوك قامات، لو جاء أحدهم لكان ذلك أمرا مفهوما، لكنها العلاقة مع السعودية ونفوذ تلامذة ابن تيمية هي التي تفسد علينا كل مشروع، نريده أن يسير بعيدا عن مسارات الفتنة والتطرف – حسب زعمه- .

الموقف الحكومي الوحيد المساند لتيار بعض قيادات التصوف ضد زيارة إمام الحرم النبوي هو موقف وزير الإرشاد والأوقاف عمار ميرغني حسين، وهو صوفي ينتمي للطريقة الختمية، ووصل إلى هذا المنصب عبر محاصصة سياسية عبر حزب الاتحادي الديمقراطي الأصل، وهو حزب الطريقة الختمية، حيث أكد في تصريحات صحفية دور الصوفية والتصوف في نشر الإسلام فى ربوع السودان، مشيرا الى أهمية قيام ندوة كبرى عن التصوف بمسجد سنار العتيق، وتكريم رموز التصوف، تحت رعاية الجمعيات والمنظمات التي تعمل في نشر التصوف، وهو يقصد هنا المجمع الصوفي العام ومجلس علماء التصوف والطرق الصوفية.

خاتمة:

من الواضح أن بيانات الصوفية ومواقفهم المتشنجة من زيارة البدير وأثرها الكبير على البلاد تشكل خطرا على المجتمع والسلم الاجتماعي، لأنها تغرس التهييج وغلو الشباب على كل من يخالفهم في فكرهم، حيث طالب مراقبون عقلاء التصوف أن يردوا هؤلاء إلى رشدهم، وإيقاف تصرفاتهم الطائشة، ولا سيما أن الإساءة إلى مشايخ فضلاء كمشايخ الحرم المكي والمدني، يسيء إلى السودان نفسه، الذي ظل يحتفي بالعلماء ويستضيفهم لتعليم الناس أمور دينهم، والتشاور معهم في أمر الدعوة الإسلامية في العالم، بما يحقق منهج الوسطية والاعتدال، والقضاء على مناهج التكفير والغلو والضلال.

كما يتضح أن الفئة من الصوفية التي تقف ضد زيارات أئمة الحرمين الشريفين هي فئة قليلة، حيث هناك عقلاء من المتصوفة لم تصدر عنهم أي إساءات أو إشارات سلبية لمن يخالفونهم من الجماعات والفرق الأخرى، وتعايشوا معهم في أمن وأمان لأزمان طويلة، كما أنهم يجلّون ويقدّرون أئمة الحرمين الشريفين، فهم محل حفاوتهم وتكريمهم، ومن ذلك الموقف المشرّف للشيخ الصوفي عبد الوهاب الكباشي خلال استقباله لإمام الحرم المكي الشيخ خالد الغامدي قبل شهور بقريته وتقبل كلامه، بجانب استضافته المتكررة للعلماء والدعاة السودانيين.

من المؤكد أن اتساع المد السني في السودان من خلال آلاف المساجد والمنابر قد ملأ بعض دعاة التصوّف خوفا من تضعضع نفوذهم القديم ومصالحهم المالية، وساهم في التراجع الكبير وسط السودانيين من الانتماء للتصوف، كما أن المعلومات التاريخية التي تبيّن كيف دخل الإسلام للسودان ومن الذي أدخله، تؤكد كذب زعم الصوفية بأنهم هم من أدخل الإسلام للسودان، حيث لا يجادل أحد في أن الإسلام دخل السودان منذ عهد الصحابة الكرام – رضي الله عنهم، حيث وصل الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السرح، رضي الله عنه، إلى دنقلا في شمال السودان عام ٣١ هـ، كما اشتهر وجود أحد السودانيين من أئمة التابعين، وهو يزيد بن أبي حبيب الدنقلاوي رحمه الله.

مفاوضات التسوية السورية... خطة انتزاع فتيل الثورة

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

على مدار نحو خمس سنوات تقريبا، وبالتحديد منذ شهر يونيو من عام ٢٠١٢ ولا زالت تتواصل جولات ما يسمى بالمفاوضات والمباحثات السورية – السورية التي ترفع حزمة من الشعارات، وتعلن عن هدف التوصل إلى إنهاء حالة الاقتتال التي اندلعت بعد شهور قليلة من تفجر ثورة الشعب السوري السلمية ضد نظام بشار الأسد المستبدّ في مارس ٢٠١١م، ومع ذلك فإن هذه المفاوضات لم تحقق أي تقدم ملموس على الأرض فظلت آلة القمع والقتل الأسدية مستمرة لتكون النتيجة أن أكثر من ١٢٪ من السوريين أضحوا ما بين قتلى أو مصابين وفق تقرير صادر عن أحد المراكز السورية لبحوث السياسات، حيث لقي نحو أكثر من نصف مليون سوري مصرعهم على الأقل فيما أصيب نحو مليونين آخرين، هذا فضلا عن تشريد أكثر من ٦,٥ مليون في الداخل السوري، وتوزع مثل هذا العدد من اللاجئين في دول الجوار مثل تركيا ولبنان والأردن والعراق والدول الإقليمية مثل مصر ودول الخليج العربي، بالإضافة لأعداد كبيرة من السوريين الذين وصلوا أوروبا في موجات لجوء متلاحقة.

بل إن هذه المفاوضات في أساسها بدت وكأنها واحدة من الأدوات التي يتم استخدامها من قبل أطراف متعددة في المنطقة وخارجها ليس إلا، لتحقيق أهداف أخرى ربما يكون ما يتعرض له الشعب السوري من انتهاكات وجرائم ليس أسوأها على الإطلاق بعد أن بدأت تتضح، يوما بعد يوم، بعض ملامح مخطط كبير ومتشعب يراد ليس لسوريا فقط، وإنما للمنطقة برمّتها وذلك بالتزامن مع حالة موات حقيقية، أو على أقل تقدير حالة من الغفلة التي أصابت جل القوى العربية التي يفترض أن تكون في موقع المقاومة والدفاع.

فهذه المفاوضات المزعومة أريدَ لها أن تكون بلا نهاية وتستنزف الوقت والجهد وتضيع في تفاصيلها الكثيرة والمملة الهدف الحقيقي الذي لأجله اندلعت الثورة، بل إنها تحيل هذه الثورة التي ما قامت إلا لينتزع السوريون حقوقهم في حياة تتسم بالحرية وبالحفاظ على الكرامة إلى باب واسع للتدخل الأجنبي السافر الذي يضع الشروط والإملاءات ويحدد ما يجب أن تكون عليه الأوضاع، فبدلا من أن تكون سوريا ضحية استبداد بشار الأسد تضحي أسيرة الاستبداد والتدخلات الأجنبية السافرة، التي وبكل تأكيد لن تكون أبدا عاكسة لطموحات وتطلعات الشعب السوري الذي كان يأمل في غد أفضل يستعيد خلاله - بجانب حريته المسلوبة- هويته المفقودة، ويبصر طريق ابتعاث حضارته التائهة.

شركاء المسرحية الهزلية

كانت الخطوة الأهم والأخطر في خطة نظام الأسد هي حين أطلق سراح العشرات ممّن يتبنّون أفكارا إسلامية متشددة ذلك أنه أراد أن يضرب الثورة في مقتلٍ بإثارة حالة من الرعب الدولي فيصور للعالم كله أنه يحمي العالم من الإرهاب متمثلا في هؤلاء الإسلاميين المتشددين الذين إذ قُدر لهم الوصول إلى حكم سوريا فلن يستطيع أحد أن يكبح جماحهم.

وبالطبع، فكما كان من بين هؤلاء من لا يمكننا التشكيك في نواياه المخلصة في المشاركة في جهاد بشار الأسد وقواته فإن بعضهم وبكل أسف ربما كان بالفعل أداة وظيفية في يد النظام

(*) كاتب مصري.

الـذي أراد أن يحـوّل المعركـة إلى قتـال ضـد الإرهـاب الـسني، الأمـر الـذي سـوّغ لـه أيـضا أن يـستدعي الميلـشيات الطائفيـة مـن العديـد مـن البلـدان «إيـران – العـراق – لبنـان – أفغانـستان – باكـستان ..» بـزعم الـدفاع عـن المقدسـات الـشيعية وحمايـة مـذهب آل البيت.

لم تمـر شـهور علـى الثـورة الـسورية حتـى كـان لنظـام الأسـد مـا أراد، فتحولـت الثـورة إلى اسـتقطاب إقليمـي ودولـي لتـشابك وتعقـد الأوضـاع، وتـصبح سـوريا سـاحة لـصراعات أخـرى وميـدانا لتـصفية الحـسابات، ويتحـول نـضال الـشعب إلى قـضية نـزاع سياسـي فيـه أخْـذ وردّ، ويقبـل بالتفـاوض والتباحـث ويسمح بوساطة الأطراف الخارجية.

ومـن جديـد لم تمـر شـهور أخـرى حتـى بـدأت اللعبـة الـسياسية بتـدخل مـن الأمـم المتحـدة وتكليـف مبعـوثين أمميـين للبحـث عـن حـل للأزمـة كـان أولهـم كـوفي عنـان، الأمـين العـام الـسابق للأمـم المتحـدة، والـذي تقـدم في فبرايـر مـن عـام ٢٠١٢ بخطـة سـلام مـن سـت نقـاط أبرزهـا فـرض وقـف لإطـلاق النـار، وهـي الخطـة الـتي وعلـى الـرغم مـن إعـلان مختلـف الأطـراف قبولها إلا أنهـا لم تنفـذ علـى الأرض، ليعقـب ذلـك الـرفض مـن قبـل بعـض الأطـراف الدوليـة التجديـد لعنـان وطاقمـه ليـستقيل أوائـل أغـسطس مـن نفس العام.

ثـم يعقـب عنـان تعـيين الجزائـري الأخـضر الإبراهيمـي الـذي يفـترض أن لديـه خـبرة كـبيرة بشئون المنطقـة، غـير أنـه ومـع ذلـك مُـني بالفـشل، هـو الآخـر، فتقـدم باسـتقالته في منتـصف عـام ٢٠١٤م دون أن يحقق أي تطور.

وفي ١٠ يوليـو ٢٠١٤ تم الإعـلان عـن تعـيين سـتيفان دي مـستورا، الـذي وعلـى مـدار أكثـر مـن عـامين لم يـزل يرعـى المفاوضـات، مـن أجـل التوصـل إلى حـل للأزمـة الـتي بـات ثمـة توافـق بـين الجميـع علـى أن حلها يجب أن يكون سياسيا وليس عسكريا.

وربمـا يـرى الـبعض أن الـدور الـذي لعبتـه الأمـم المتحـدة هـو الـدور المنـوط بهـا حيـث العمـل علـى تهدئـة الأجـواء ورعايـة المباحثـات للوصـول إلى أفـضل تـسوية، خاصـة وأن القـضية كمـا أشـرنا آنفـا خـضعت لحالـة مـن الاسـتقطاب الإقليمـي والـدولي، غـير أن هـذا المـبرر لا يمكـن استـساغته فيمـا يتعلـق بالـدور الأمريكـي مـن الأزمـة الـسورية، الـذي وضـح جيـدا إلى أي مـدى كـان متماهيـا مـع رغبـة دفينـة في أن يطـول أمـد هـذا الـصراع الـسوري – الـسوري وأن يمتـد أمـد الحـرب إلى أقـصى فـترة ممكنـة، وأن الادّعـاء الأمريكـي بـدعم مطالـب الـشعب الـسوري ضـد ديكتاتوريـة بـشار الأسـد ونظامـه لم يتجـاوز حـد الكلمـات والـشعارات الرنانـة الـتي لم تعكـسها أيـة أفعـال علـى الأرض، اللّـهم إلا الـدعم المحـدود علـى المـستويين الـسياسي والعـسكري لـضمان أن لا يحقـق الأسـد ونظامـه انتصارا على المعارضة والثورة.

وجـاء الموقـف الروسـي مـن الأزمـة الـسورية دعمـا لإطالـة أمـد هـذا الـصراع أيـضا، فالتـدخل العـسكري المباشـر الـذي جـاء في سـبتمبر مـن عـام ٢٠١٥م، أي بعـد أكثـر مـن أربـع سـنوات مـن عـسكرة الثـورة الـسورية، إنمـا كـان محاولـة لإنقـاذ قـوات الأسـد مـن الهزيمـة الـتي كـادت أن تعـصف بهـا في حـين بـرّرت موسـكو تدخلـها العـسكري بحـصولها علـى طلـب رسمـي مـن دمـشق للمـساعدة في محاربـة «الإرهـاب»، غـير معتـبرة للتحـالف الـدولي الـذي تم تـشكيله في ٢٠١٤ لقتـال تنظـيم «داعـش»، حيـث رأت روسـيا أن هـذا التحـالف غـير شـرعي ولا يمكـن أن يـنجح في مهمـة القـضاء علـى التنظـيم لأنـه لا ينـسّق مـع «الحكومـة الـسورية الـشرعية» علـى الأرض وهـو مـا اعتـبر قبلـة الحيـاة لنظـام الأسـد، إذ لم تكـن الهجمـات الروسـية موجهـة للإرهـاب كمـا ادّعـت وإنمـا كانـت تـستهدف بالأسـاس قـوات المعارضـة والثـورة الـسورية، الأمـر الـذي مـنح الأسـد قـدرات جديدة للوقوف على قدميه في مواجهة الثورة.

ولا يخفـى علـى أحـد الـدور الـذي لعبتـه إيـران في سـوريا وكـان لـه انعكاسـه علـى واقـع التطـورات في

سوريا وهو الدور الذي بدأ منذ العام الأول لاندلاع الثورة السورية حيث أعلن المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي في سبتمبر ٢٠١١ فتوى بالجهاد لصالح الحكومة السورية، الأمر الذي دفع بالدولة الإيرانية أن تكون فاعلا أساسيا على الأرض، فتقدم أكثر من عشرة آلاف من أبنائها للقتال في صفوف قوات الأسد فيما تدفع بحزب الله اللبناني الموالي لها بأن يقوم أيضا بالمشاركة في القتال، فضلا عن الآلاف من مرتزقة الميلشيات الشيعية من بلدان أخرى كالعراق وباكستان وأفغانستان وغيرها.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل إن إيران لم تتوقف عن تقديم الدعم المالي واللوجستي للسوريين الموالين للأسد، فقامت بتدريب قواته، وإمداده بالأسلحة وصرف رواتب المرتزقة حتى أنه، ووفق تصريح صادر عن وزير الاقتصاد السوري فإن النظام الإيراني ساعد النظام السوري بأكثر من ١٥ مليار دولار.

وكان من أهم تداعيات هذا التدخل الإيراني إسباغ الطابع الطائفي على الثورة السورية، فسعت إيران ومعها نظام الأسد إلى أن تصوّر الثورة السورية وكأنها حرب سنية على الشيعة، فروّجت لهذا الزعم حتى أضحى حقيقة ثابتة لدى قطاعات شيعية كثيرة ومن ثم يصبح بشار الأسد بطلا يدافع عن مراقد آل البيت وتصبح قواته جنودا يجاهدون في سبيل الله، فيما تصبح مجازره ومذابحه بحق السوريين بطولات وأمجادا يتغنى بها الأشاوس المغاوير.

كما أن مواقف بعض الدول الإقليمية كانت سببا أيضا في إطالة أمد النزاع في سوريا، وإن كان بشكل مختلف، حيث كان تراخي هذه الدول وتقصيرها في تقديم دعم قوي وحسْم الموقف منذ البداية سببا في أن تبقى المعارضة السورية عند مستوى عدم القدرة على الحسم، ومن ثم أفرزت الساحة السورية فصائل كثيرة تباينت مواقفها، الأمر الذي شتّت جهود المعارضة السورية وأدخل بعضها في حالة اقتتال بينيٍّ بدلا من مواجهة قوات النظام لتتشابك الأمور وتتعقد لدرجة يصعب على الكثير من المراقبين فك علائقها.

فالثورة السورية الشعبية وبعد فترة من العسكرة تحولت إلى فصائل بالعشرات وتتخذ أسماء عديدة بالعشرات فأصبحت «جيوشا وألوية وأفواجا وسرايا وحركات وأجنادا وكتائب وفرقا وجبهات واتحادات وجماعات وفتوحا وإمارات» وغير ذلك من الأسماء التي حاول القائمون عليها أن يظهروا فصائلهم وكأنها المكون الوحيد المعبّر عن السوريين وتطلعاتهم، والقادر على أن يظفر بالانتصار على جيش الأسد ومن يواليه، في حين كانت النتيجة المؤسفة هي استمرار الاقتتال الذي لم يحسم بعد، فكان الخاسر الأكبر هو الشعب السوري.

سيناريوهات وأهداف التلاعب

وبالطبع وحتى يتم حبك المسرحيات الهزلية التي وضعت فصولها من أجل تضييع الثورة السورية كان لا بد من أن تكون هناك عقدة درامية يتفاعل معها المشاهد فيتوه مع تفاصيلها وتفاصيل تفاصيلها حتى ينسى صلب القضية الرئيسة ويبقى متعلقا بما أريد له أن يتعلق به، فجاءت جولات التفاوض والمباحثات لتلعب هذا الدور الخطير في تخدير المتفاعلين، فمن ناحية تبدو هذه المفاوضات وكأنها معبّرة عن حسن النوايا والرغبة الملحّة لدى الأطراف الراعية في إنهاء معاناة الشعب السوري، ومن ناحية أخرى فإنها أكدت وعبر العديد من التجارب التاريخية أنها أفضل ما يمكن استخدامه، ولنا في تونس والجزائر والمغرب ومصر بل وفي القضية الفلسطينية التي دخلت نفق المفاوضات منذ نحو مائة عام ولم تخرج منه بعد النموذج والقدوة.

ويبدو أن المفاوضات السورية التي بدأت في عام

٢٠١٢م برعاية أمميّة وأطراف دولية ستكرر نفس سيناريوهات مفاوضات البلدان العربية مع الاحتلال الأجنبي «بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا ..» طيلة القرن العشرين الميلادي، والتي كانت خدعة كبيرة، حيث نجحت بلدان الاحتلال عبرها أن تستنزف بها الطاقات والجهود وتكسب بها المزيد من الوقت لتحقيق أكبر قدر من المصالح وتثبيت أقدام مشاريعها الاستعمارية عبر تكوين طبقة جديدة من الموالين لها سياسيا وثقافيا، والذين كانوا الطابور الخامس الذي يحقق للاستعمار مصالحه دون أية مشقة بعد أن يرحل بقواته.

وليس ثمة مبالغة في المقارنة بما كانت عليه مفاوضات البلدان العربية مع بلدان الاحتلال وما يحدث فيما يتعلق بالمفاوضات السورية، فها هي نحو ستة أعوام من المفاوضات السورية التي شهدت الكثير من الجولات والاجتماعات واللقاءات في بلدان كثيرة، وبرعاية متعددة مثل جنيف ١ و٢ و٣ و٤ و٥، وأستانا ١ و٢ و٣ واتفاق ميونيخ واجتماع لوزان وغيرها وغيرها من اللقاءات التي تم التوصل خلالها للعديد من التوافقات التي لم تنعكس عمليا على الواقع السوري.

بل لقد كان انعكاس هذه المفاوضات الطويلة والمملّة سلبيا إلى أقصى درجة على واقع هذه الثورة، ففي الوقت الذي كان يفترض فيه أنه تم التوصل إلى وقف إطلاق النار أو عقد هدنة مؤقتة تسمح للمدنيين بالخروج من الأماكن المتوترة أو إيصال المساعدات الإنسانية لهم كان نظام الأسد يسعى إلى توجيه أشد الضربات الانتقامية التي كان ضحيتها الآلاف حتى أضحت الأنباء التي تتحدث عن التوصل لهدنة بمثابة كارثة بالنسبة للشعب السوري الذي خبر أن مثل هذا الاتفاق إعلان بتوجيه ضربة جديدة لإحدى مناطق سوريا المنكوبة.

ويمثل ما حدث في أعقاب مؤتمر «جنيف ٥» والذي عقد في نهاية شهر مارس من العام الجاري نموذجا جليا يكشف عن زيف وخدعة هذه المفاوضات، إذ أعقب هذه المفاوضات والتي أعرب بعدها دي ميستورا عن أن هناك تقدما في المحادثات بين أطراف الأزمة وقوع جريمة بشعة ارتكبها النظام يوم الرابع من إبريل حيث قام بقصف مدينة خان شيخون بريف إدلب غربي سوريا بغاز السارين السام، الأمر الذي خلّف أكثر من مائة قتيل من المدنيين وأكثر من أربعمائة جريح، معظمهم من الأطفال، ليؤكد الواقع أن مثل هذه المفاوضات ليست إلا مجرد عبارات إنشائية للاستهلاك المحلي.

كذلك فقد منحت هذه المفاوضات فرصة ذهبية لنظام الأسد وداعميه لأن يشوشوا على الأهداف الحقيقية للثورة التي كانت واضحة في مطالبها حيث إزاحة بشار الأسد عن الحكم ووضع دستور جديد وتشكيل حكومة انتقالية وإجراء انتخابات حرة ونزيهة، وهو ما تجلى بوضوح في واحدة من جولات جنيف إذ وفي مناورة جديدة لنظام الأسد طلب وفد النظام المفاوض برئاسة بشار الجعفري دي ميستورا بإضافة بند «مكافحة الإرهاب» على جدول أعمال المفاوضات الأمر الذي اعتبرته المعارضة مناورة وأن الأولوية هي بحث «الانتقال السياسي» وفقاً لقرار مجلس الأمن ٢٢٥٤ وبيان جنيف ١ كملف مركزي في مفاوضات جنيف.

وبالطبع فقد كان واضحا أن نظام الأسد يحاول بمختلف الطرق أن يصنّف الثورة السورية والفصائل التي تقاتله باعتبارهم إرهابيين، متجاهلا أن الإرهاب الحقيقي هو الذي يمارسه هو وداعموه، وأن تمدد بعض التنظيمات المتشددة جزء من المخطط الذي نفذه الأسد بالتعاون مع إيران بهدف تشويه الثورة واستعداء القوى الدولية ضدها، أو على أقل تقدير التوقف عن دعمها يدلل على ذلك أن الجيش السوري الحرّ كان أول من حارب الإرهاب في إدلب وحلب والغوطة ودرعا.

كذلك فقد كان من أخطر ما أراده نظام الأسد ومن يدعمه من إطالة أمد هذه المفاوضات

وتعـــددها هـــو التلاعـــب بممثلـــي الثـــورة وتبـــديل المفاوضـين الـشرفاء بـآخرين مـن عملائـه والمـوالين لـه ممّــن تم اصــطناعهم علـــى عـــين النظـــام والترويـــج باعتبـار أنهـم مـن بـين صـفوف المعارضـة، في الوقـت الــذي يعلــم الجميــع أنهــم شخــصيات تابعــة وأن مــا يقومــون بــه دور تمثيلــي يقــصد بــه التغطيــة علــى المعارضــة الحقيقيــة، وكــان أبــرز هــؤلاء مــن يطلــق علـــيهم «معارضـــة الـــداخل» و«معارضـــة موســـكو» فـضلا عـن مجموعـات ممّـن لـيس لهـا أي ظهـير شـعبي كما هو الحادث مع ما يسمى بـ «معارضة القاهرة».

وقــد تجلــى ذلــك بوضــوح شــديد في جنيــف، وكــذلك في اجتماعــات العاصــمة الكازاخــستانية «أســتانا» الــتي شــهدت مــشاركة واســعة وفاعلــة مــن أطـراف صَـنفت نفـسها باعتبارهـا «معارضـة وطنيـة» في حـين يعلـم المتـابعون أنهـم موالـون للأسـد وأنهـم لا يلقّبونـــه إلا بـــالرئيس الأســـد، كـــاعتراف واضـــح وصـريح برئاسـته فيمـا كـان إصـرار هـؤلاء وتوحـدهم علـى شـعار «أنـه لا حـل عـسكريا في سـوريا» وهـو الـشعار الـذي ربمـا ينطلـي علـى كـثيرين لكـن بكـل تأكيـد يعـني نـزع حـق المعارضـة المـسلحة في أن تقـف ضـد الأسـد والميلـشيات الداعمـة لـه والـتي لا تتوقـف عن ممارسة أبشع الانتهاكات بحق السوريين.

وسـعى نظـام الأسـد وداعمـوه مـن خـلال هـذه المفاوضـات أيـضا إلى تحقيـق العديـد مـن الانتـصارات علـى فـصائل الثـورة الـسورية إذ كـانوا يحـاولون مـن خلالهـا الحـصول علـى تعهـدات الفـصائل الثوريـة بوقـف المعــارك في بعـض المنــاطق في حــين لم تكــن تــشمل هــذه التعهــدات القــوات الروسـية مـثلا، رغـم أنـه مـن المعلــوم أن القــوات الروســية ليــست محايــدة وأنهــا جـاءت لـدعم الأسـد، وهـو مـا تجلـى في اتفـاق ميـونخ الـذي توصـلت إليـه أمريكـا وروسـيا والقـوى الإقليميـة ١٢ فبرايـر ٢٠١٦ بعـد أكثـر مـن سـبع سـاعات مـن المفاوضــات وتم الاتفــاق خلالــه علــى تخفيــف حــدة العنـف تـدريجيا وصـولا إلى «وقـف المعـارك» في كامـل الـبلاد في غـضون أسـبوع مـن خـلال «وقـف الأعمـال العدائيـة» بهدنـة عـسكرية مـدتها أسـبوع بـين قـوات النظـام الـسوري وفـصائل المعارضـة غـير أن الاتفـاق لم يلـزم روسـيا بإيقـاف هجماتهـا الجويـة كمـا لا يـستثني مـن وقـف الاسـتهداف تنظـيم الدولـة الإسـلامية وجبهـة النــصرة والتنظيمــات المــصنّفة في «قائمــة الإرهــاب» لدى مجلس الأمن الدولي.

والخلاصـة أن المؤشـرات الموضـوعية حتـى اللحظـة تنطـق بـأن هـذه المفاوضـات والمباحثـات والحـوارات لـن تجـدي نفعـا ولـن تتوصـل إلى مـا يرفـع عـن كاهـل السوريين هـذا الحمـل الثقيـل، بـل إنهـا تـدفع دفعـا إلى تفريــغ الثــورة مــن مــضمونها وأهــدافها الحقيقيــة والـدخول بهـا في سـراديب وأنفـاق لا نهايـة لهـا بقـصد كـسر شـوكة الثـورة وإضـعاف فـصائلها إلى أقـصى درجـة، بـل والعمـل علـى تـوتير العلاقـات فيمـا بـين هـذه الفـصائل إلى حـد أن يـدخل بعـضها في اقتتـال بـينيّ، يــدلل علــى ذلــك عــدم منطقيــة الــسير في عمليــتين تفاوضـــيتين في وقـــت واحـــد إحـــداهما في جنيـــف والأخـرى في أسـتانا، إذ لـو كانـت ثمـة نيـة جـادة وحقيقيـة في التوصـل لاتفـاق فلمـاذا لا توحّـد جهـود التـسوية؟ ولمـاذا لا تكـون هنـاك ضـمانات حقيقيـة مـن الأطـراف الـتي تـزعم أنهـا ترعـى هـذه المباحثـات لتنفيـذ مـا يـتم التوصـل إليـه والاتفـاق عليـه وتحديـد عقوبـات لأي طـرف مخـالف وتـشكيل لجـان تحقيـق علـى مــستوى دولــي رفيــع للتحقــق مــن الانتهاكــات؟.. بالتأكيـد هـي أسـئلة لـن تجـد لهـا إجابـة طالمـا أن النيـة الحقيقيــة لــدى الأطــراف الدوليــة الكــبرى هــي استمرار هذا الوضع في سوريا.

الشيعة الإمامية في أندونيسيا وجهود أهل السنة والجماعة في مواجهتها

عرض أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا الكتاب هو بالأصل رسالة ماجستير تقدم بها الأستاذ محمد طالب زين لقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالسعودية، وقد صدر الكتاب عن مركز البيان للبحوث والدراسات سنة ١٤٣٧هـ في ٥٢٠ صفحة من القطع الكبير.

والكتاب يعد تقريرا مفصلا ومدعما بالأدلة والأمثلة لنموذج الاختراق الإيراني والشيعي للدول السنية، ويفضح سياسة إيران والشيعة في الغزو الناعم للمجتمعات السنية عبر خطط طويلة المدى وعمل دؤوب ومتواصل لعدة عقود.

ويأتي الكتاب في هذه اللحظة التي تكشف للعالم بأجمعه وحشية المشروع الشيعي الإيراني الذي يزاوج بين الاختراق والغزو الناعم للمجتمعات السنية، وبين الغزو والعدوان الصلب والوحشي بشن الحروب على الدول السنية كما في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها.

الكتاب ركز على نشاطات التبشير الشيعية الإمامية فقط في أندونيسيا في الفترة من ١٩٩٠- ٢٠١٥، وجهود أهل السنة في مقاومة هذا السرطان والغزو الشيعي الإيراني، وجاء الكتاب في تمهيد وفصلين، التمهيد للتعريف بأندونيسيا والأخطار الفكرية التي تواجهها خارجيا كالتنصير والصهيونية والشيوعية، والأفكار الخطرة داخليا كالقرآنيين والقاديانية وما يسمى إسلام الجماعة والشيعة.

الفصل الأول خصّصه المؤلف لرصد نشأة وتطور وواقع التشيع في أندونيسيا، فقد عرَفت أندونيسيا التشيع عبر عدة مراحل، حيث وُجد أفراد أندونيسيون قبل الثورة

(*) كاتب أردني.

الإيرانية يعتقدون عقائد شيعية إمامية وزيدية وإسماعيلية ولكن بشكل فردي وغير علني، وبعد قيام دولة الخميني لقيت ترحيبا من بعض المثقفين لمتابعة كتابات بعض المفكرين الإيرانيين كعلي شريعتي ومرتضى المطهري دون اهتمام بالعقائد والفقه الشيعيين، ثم أصبح هناك من تبنّى العقائد والفقه الشيعيين، خاصة مع عودة الطلبة الأندونيسيين من إيران، ولما اشتد عودهم ظهرت بعض المؤسسات الشيعية في مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وقام الباحث بعرض واقع التشيع في أندونيسيا في خمسة مباحث تناولت ما يلي:

١- مظاهر التشيع في أندونيسيا، فأول معرفة أندونيسيا بالمظاهر الشيعية كانت عبر جنود شيعة هنود جاؤوا مع الاستعمار البريطاني لأندونيسيا (١٧٥٠ – ١٨٢٥م) حيث كانوا يقيمون طقوس عاشوراء، وبعد رحيلهم بقي بعض السكان يقلّدونهم دون فهم لخلفيات وأبعاد هذه الاحتفالات، وفي الوقت الحاضر لم تبرز المظاهر الشيعية إلا بعد قيام دولة الملالي واستقبالها لبعض الطلبة في الحوزات الشيعية ثم عودتهم لأندونيسيا.

فظهرت مؤسسات دعوية شيعية كانت مؤسسة الحجة والتي تأسست في عام ١٩٨٧ أول مؤسسة شيعية دعوية مما يكشف عن قِدم هذه السياسة الشيعية الإيرانية في اختراق المجتمعات السنية وتجذير الفرقة فيها وتحويل هؤلاء المتشيعين إلى مجتمع متميز ومنفصل عن محيطه، وتكاثرت هذه المؤسسات حتى بلغ عددها سنة ٢٠٠١ قرابة ٤٢ مؤسسة بمعدل ٣ مؤسسات جديدة كل سنة، وفي عام ٢٠١٠ ارتفع عددها ليصبح ٢٠٠ مؤسسة، بمعدل ١٦ مؤسسة جديدة كل سنة، مما يؤكد على وجود مخطط قائم ونشط لتكوين جالية شيعية مرتبطة بإيران!

وبعد تكاثر هذه المؤسسات أصبح من المهم التنسيق بين هذه المؤسسات الشيعية لمضاعفة قوتهم عبر التعاون والتكاتف، ففي سنة ٢٠٠٠ أسس جلال الدين رحمت مع آخرين «رابطة جماعات أهل البيت الأندونيسية» (IJABI) وحضر تأسيسها مندوبون من ٢١ منطقة من مناطق أندونيسيا وشخصيات شيعية من خارج أندونيسيا، ومن أهدافها الانفتاح والتعاون مع المخالفين لكسبهم لخط أهل البيت! وأصبح لها ٨٤ فرعا في ٣٣ منطقة في سنة ٢٠٠٨، لكن يبدو أن جلال رحمت وزملاءه لم يكونوا تابعين تماما لملالي طهران.

ولذلك اصطدمت هذه الرابطة منذ البداية مع عدد من الشيعة الأندونيسيين والذين هم أكثر تبعية لولاية الفقيه الإيراني، فأصدرت رابطة الطلاب الأندونيسيين في إيران بيانا هاجمت فيه الرابطة واتهمتها بالتفريط في المبادئ الأساسية للتشيع، ولذلك في سنة ٢٠٠١ اجتمعت ٢٧ مؤسسة شيعية ودعت للتكاتف تحت راية ولي أمر المسلمين علي خامنئي، في تبعية معلنة لإيران، وهو ما يشكل خطورة بالغة على الأمن القومي لأي بلد يتواجد فيه الشيعة أو المتشيعون.

تواصلت لقاءات هذه الجمعيات الرافضة لرابطة جماعات أهل البيت في منتديات وملتقيات متعددة حتى أسست سنة ٢٠١١ حيث دشنوا جمعية أهل البيت الأندونيسية، وعيّن عمر شهاب رئيسا لها.

ومن هذه المؤسسات الدعوية ظهرت المؤسسات التعليمية الشيعية بجميع مستوياتها من المدارس والمعاهد والجامعات، ولعل أقدم مؤسسة تعليمية شيعية هي معاهد «مؤسسة المعهد الإسلامي» التي أسسها حسين الحبشي سنة ١٩٧٦، مما يؤكد أن التبشير الشيعي في الأوساط السنية كان قائما قبل دولة الخميني لكنه تضاعف بعدها، ويؤكد أن البعد الشيعي الديني هو الأساس في سياسة الملالي وليس القومية الفارسية كما يحاول البعض التضليل والتحريف بذلك.

كما ظهرت بعض الحسينيات في أندونيسيا عادة ما تكون ملحقة بالمؤسسات الدعوية والتعليمية، حيث تقام فيها اجتماعاتهم واحتفالاتهم، والتي يجلبون لها في العادة بعض الملالي من إيران ويحضرها رجالات السفارة

الإيرانيـة، ممـا يؤكـد حـرص إيـران علـى ترسـيخ أبوّتهـا للشيعة في أي بلـد، علـى غـرار سياسـة دولـة اليهود تجاه اليهود في العالم.

وقـد كانـت هـذه الاحتفـالات تـتم في داخـل الحسينيات وسـرّا، ولكـن منـذ سـنة ٢٠١٠ بـدأ الشيعة بإقامـة احتفـالاتهم علنًـا في القاعـات العامـة وفي الشوارع.

٢- وسـائل نـشر التـشيع في أندونيـسيا، حيـث تنوعـت هـذه الوسـائل مـن طباعـة الكتـب فأسـسوا المطـابع ودور النـشر مبكـرا لغـرض نـشر الكتـب الدعائيـة الشيعية، ولعـل أقـدم مطبعـة لهـم هـي مطبعـة ميـزان الـتي أسـسها حيـدر محمـد بـاقر سنة ١٩٨٢، ويملـك الـشيعة مـا يزيـد عـن ٦٠ مطبعـة ودار نـشر، وقـد طبعـوا مـا يفـوق عـن ٦٠٠ عنـوان، ولهـم أيـضا عـدة مجلات شهرية ومجلة خاصة بالأطفال.

وهــم ينـشرون هـذه الكتـب إمـا بـالبيع في مقـر المطـابع والمكتبـات التابعـة لهـم أو بالمـشاركة في معـارض الكتـب أو البيـع عـبر الإنترنـت، كمـا أنهـم يُهـدون كميـات منهـا مجانـا للأفـراد والمؤسـسات التعليميـة والجامعـات وخاصـة المـدارس في المنـاطق النائية.

كمـا أن مدرسـيهم في الجامعـات يُرشـدون الطلبـة للمراجـع الـشيعية عنـد إعـداد بحـوثهم المدرسـية والجامعيـة، كمـا أن الـشيعة ومؤسـساتهم والـسفارة الإيرانيـة يحرصـون علـى إقامـة المكتبـات العامـة المجانيـة لكـسب الجمهـور للتـشيع، ومـن أخطـر أسـاليبهم هـو إدراج بعـض الكتـب الـشيعية ضـمن قائمـة مراجـع الكتـب الإثرائيـة لمـادة التربيـة الإسـلامية المعتمـدة في مـدارس وزارة الـشؤون الدينيـة، وقـد تم شـراء هـذه الكتـب مـن بعـض المدارس فعلا.

أمـا علـى صـعيد الإعـلام فهنـاك العديـد مـن مواقـع الإنترنـت الـشيعية باللغـة الأندونيـسية التـى تنطلـق مـن إيـران فـضلا عـن العديـد مـن المواقـع المحليـة، ولهـم مـشاركة في عـدد مـن القنـوات الفـضائية المحليـة، كمـا أن قنـاة المنـار وقنـاة هـادي الـشيعيتين يـصل بثهمـا لأندونيـسيا عـبر شـركة إندوسـات، وقنـاة الهـادي للأطفـال الـتي تخـصص بـرامج للأطفـال باللغـة الأندونيسية.

ولعبـت الـسفارة الإيرانيـة دورا مهمـا في نـشر التـشيع، حيـث تقـوم الـسفارة بتنفيـذ بـرامج المجلس الأعلـى للثـورة الثقافيـة الإيرانيـة، والـذي تأسـس سـنة ١٩٨٤ بطهـران بهـدف رعايـة التبـشير بالتـشيع في مختلـف الـدول مـن خـلال المستـشارية الثقافيـة في الـسفارات الإيرانيـة، وتم تعزيـز ذلـك بإنـشاء رابطـة الثقافـة والعلاقـات الإسـلامية بطهـران سـنة ١٩٩٥ والتي أصبح لها ٦٨ ممثلية في دول العالم.

فـسفارة إيـران في أندونيـسيا تقـيم المعـارض والمهرجانـات عـن تـاريخ إيـران والـشيعة وكـذلك ترعـى الأسـابيع الثقافيـة وتعقـد النـدوات والمـؤتمرات في مختلـف الجامعـات والمنـاطق للتغلغـل في المجتمـع الأندونيسي.

كمـا سـاهمت الـسفارة بإنـشاء المركـز الثقـافي الإسـلامي بجاكرتـا العاصـمة والـذي يرأسـه دومـا معمـم شـيعي إيرانـي، وهـذا الاسـم العـام مـن أسـباب خداع كثير من الناس به وبأنشطته.

كمـا تحـرص الـسفارة علـى التعـاون مـع الجامعـات الأندونيـسية وإقامـة ركـن فيهـا لإيـران يعـرض الكتـب الإيرانيـة لاسـتقطاب الـشباب والـشابات للتـشيع وتقـديم المـنح الدراسـية المجانيـة للطلبـة الأندونيـسيين، حيـث تعتمـد إيـران في ترسـيخ غزوهـا للـبلاد الـسنية واخـتراق مجتمعـاتهم علـى اسـتقطاب الطلبـة للدراسـة في حوزاتهـا وجامعاتهـا وإدخـالهم في بـرامج غـسيل للمـخ ممـا يحـولهم إلى أتبـاع مخلـصين للـولي الفقيـه وذلـك بعـد تـشيعهم، ويـشرف علـى ذلـك وزارة الثقافـة والإرشـاد الإيرانيـة، وتـشارك مؤسـسات إيرانيـة دعويـة في تلـك الجهـود كمؤسـسة الإمـام الحـسين، ويـزعم مـدير الحـوزة العلميـة في قـم وجـود ٦٠ ألـف طالـب مـن شـتى بقـاع العـالم يدرسـون بالحوزة، وهو رقم مخيف لو كان حقيقيا!

ومـرة أخـرى نجـد أن أول ابتعـاث لطالـب أندونيـسي كـان قبـل دولـة الملالـي، حيـث أرسـل

محمد الحبشي في سنة ١٩٧٤ ابنه علي للدراسة في قُم، بدار التبليغ الإسلامي، ولما قامت دولة الملالي سنة ١٩٧٩ كان هناك ٧ طلبة آخرين يدرسون في دار التبليغ التابعة للمرجع الشيعي كاظم شريعتمداري، وهذا يؤكد مرة أخرى أن النشاط الشيعي التبشيري بين السنّة أقدم من دولة الملالي التي ساهمت في تضخيمه وتسريعه، وهذا النشاط التبشيري الشيعي لا يقتصر على الخميني وأتباع ولاية الفقيه بل إن بقية المراجع السابقين واللاحقين لهم دور في التبشير الشيعي، فشريعتمداري كان معارضا للخميني، ولذلك سجَنَه ومات مسجونا من قبل الخميني!

وقد تم إغلاق دار التبليغ بعد قيام دولة الملالي وأقيم بدلا منها حوزة علمية تسمى «مدرسة الحجتية للعلوم الدينية» أسسها المرجع محمد حجت كوهكماري، وأكمل بعض الأندونيسيين الدراسة فيها، ويبدو أن ذلك التباين في التأسيس في التشيع بين قدماء الطلبة وبين الطلبة الجدد الذين درسوا في جهات تابعة للخميني وخامنئي هي من أسباب الخلاف بين شيعة أندونيسيا، كما سبق بيانه بالصراع بين رابطة جماعات أهل البيت وجمعية أهل البيت الأندونيسية!

بدأت إيران الخميني سنة ١٩٨٢ باستقطاب الطلبة من أندونيسيا للدراسة فيها ولكن مع بداية التسعينيات حوّلت إيران للدراسة في خارج حوزة الحجتية، وحتى سنة ٢٠٠٠ تقريبا بلغ عدد الطلبة ١٠٠ طالب، ولكن ارتفع العدد بعد ذلك حتى تضاعف ٤٠٠٪ حتى سنة ٢٠١٥ حيث يقدر عددهم بـ ٥٠٠ طالب بخلاف عائلاتهم.

٣- أبرز الشخصيات الشيعية الأندونيسية، حيث استعرض الباحث سيرة وجهود عدد من الشخصيات التي قسّمها بين شخصيات تعلن تشيعها وشخصيات تتعاطف مع الشيعة، ويلاحظ على تلك الشخصيات أن أغلبها من المهاجرين العرب لأندونيسيا من السادة الحضارم غالبا، وهذا يبطل قضية البعد الفارسي في نشر التشيع ويطرح قضية تلاعب إيران بقضية حب ودعم آل البيت لاختراق المجتمعات السنية وهو ما يتكرر في بلاد أخرى كمصر واليمن، حيث تركز إيران والشيعة على كسب السادة لصفّهم.

يلاحظ أيضا على هذه الشخصيات أن بعضها شخصيات علمية وبعضها سياسية كنواب وأعضاء مجلس شورى وقيادات حزبية، وبعضها له زعامة في الجمعيات الإسلامية أو المؤسسات الدينية الرسمية، مما يؤشر لوجود مخططات باستهداف القيادات والوجاهات لتسريع وتسهيل عملية تشييع المجتمع الأندونيسي.

٤- أسباب انتشار التشيع في أندونيسيا، انتشار الجهل بالعقائد الصحيحة وما يضادها في المجتمع الأندونيسي يساعد في تمرير شبهات وعقائد التشيع بين البسطاء والعامة، ويساعد في ذلك تركيز الشيعة على جعل دعاة التشيع من السادة العرب حيث يثق الناس بهم، كما أن انتشار الطرق الصوفية يسهل تقبل المجتمع للأفكار الشيعية للتقارب بينهم في بعض الجوانب، فهذا رئيس جمعية نهضة العلماء عبد الرحمن واحد يقول: «الشيعة هي جمعية نهضة العلماء مع زيادة اعتقاد الإمامة، وجمعية نهضة العلماء هي الشيعة بدون اعتقاد الإمامة» وكلامه هذا يدلّ على جهله بالتشيع وحقيقة عقيدة الإمامة التي تستلزم تكفير الصحابة والطعن في القرآن الكريم برغم زعامته لنهضة العلماء!

كما أن نجاح الثورة على الشاه جعل كثيرا من الناس ينبهرون بالثورة وقائدها الخميني وأنه ينوي تحرير القدس، وكان لمهارة دعاة التشيع في خداع الناس دور في تمدّدهم حيث ركزوا على النساء لتأثيرهن الكبير على أسرهن، وقد ركزوا على استغلال شعارات محبة آل البيت والمذهب الجعفري، والأخوة والوحدة الإسلامية، وإعلان العداء للغرب والكفار.

٥- الآثار العقدية الشيعية على المجتمع، حيث أصبح دعاة الشيعة لا يتورعون عن الدعوة لعقائدهم

الشيعية مثل الدعوة للإمامة الشيعية والعصمة للأئمة وغيبة المهدي والطعن بالصحابة، كما أصبح المجتمع الأندونيسي تظهر فيه بدع بسبب المتشيعين كالتوسل البدعي على طريقة الشيعة بعد أن كان المعروف التوسل البدعي الصوفي، وإقامة المناسبات الشيعية كعاشوراء وأمثالها. أيضا أصبح هناك تشكيك في كتب السنة المعتمدة ومحاربة للعقيدة الصحيحة.

هذا كان الرصد والعرض للواقع الشيعي في أندونيسيا وبه ينتهي الفصل الأول.

الفصل الثاني خصّصه الباحث لبيان جهود أهل السنة في مواجهة هذا الهجوم الشيعي الإيراني على المجتمع الأندونيسي، وقد استفتح الفصل ببيان مفهوم أهل السنة والجماعة وأنه يقصد به مفهوم عام وهو كل «من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة» كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد قسم هذا الفصل لبيان مواجهة أهل السنة للشيعة لجهود علمية وجهود عملية.

١- الجهود العلمية، التي تنوعت بين مناقشة عقائد الشيعة الإمامية وبين كشف ما يخفيه الشيعة من عقائدهم وبين الرد على شبهات الشيعة.

حيث قامت المؤسسات السنية الكبرى بالتصدي للغزو الشيعي في وقت مبكر، فمجلس العلماء الأندونيسي المركزي أصدر في سنة ١٩٨٣ تعميما يحذر فيه من الشيعة ويفند عقائدهم الباطلة والعدوانية على الصحابة وغلوّهم في عليٍّ، وغيرها من ترّهاتهم، وفي سنة ١٩٨٤ أعاد المجلس إصدار توصية للمسلمين بالحذر من تسلل وغزو الشيعة لأندونيسيا، وهذا يؤكد أن مشكلة التشيع هي مع كل المسلمين وليس مع الوهابية كما يزعم الشيعة دوما، وأن هذا الغزو الشيعي غزو قديم مع بداية دولة الملالي وأنه يستهدف كل الدول والبلاد.

وفي سنة ١٩٩٧ أصدر المجلس فتوى بتحريم نكاح المتعة عقب انتشار هذا الزواج في المناطق التي يكثر فيها الشيعة، مما يؤشر لاستفحال مشكلة التشيع واستهدافه للطلبة عن طريق إغرائهم بالشهوات الجنسية!

وفي سنة ٢٠٠٧ أصدر المجلس بيانا يحذر فيه من الفرق الضالة ببيان علامات خاصة بها، وكثير منها ينطبق على الشيعة.

وفي عام ٢٠١٣ قام المجلس بإصدار كتاب خاص لفضح التشيع بعنوان «التعرف على انحرافات الشيعة في إندونيسيا» مما يدل على مواصلة المجلس الدائمة لمحاربة التشيع والتصدي له، وأيضا كان لمجالس العلماء في المحافظات دور في مواجهة التشيع بالبيانات والمحاضرات، وغيرها من الأنشطة.

وهناك أيضا جهود لمؤسسات دعوية منها: مركز البحوث والدراسات الإسلامية الذي أقام ندوة حول الشيعة في قاعة مسجد الاستقلال سنة ١٩٩٧ وطبعت كلمات الندوة في كتاب طبع ست مرات حتى عام ٢٠١١، أما مؤسسة البيّنات فهي تقوم بطباعة وترجمة الكتب والنشرات وإقامة الندوات لمقاومة التشيع.

وهناك جهود أخرى في كشف عقائد التشيع التي يخفيها الشيعة عن عوام الناس، كعقائدهم بتحريف ونقص القرآن الكريم، وعقيدة الطينة التي تحمل مفاهيم عنصرية عن تميز جنس الشيعة عن غيرهم من البشر، وغيرها من العقائد الشيعية الباطلة.

أما شبهات الشيعة تجاه الصحابة أو عداء أهل السنة لآل البيت فقد فنّدها دعاة أهل السنة في أندونيسيا كما فندوا مزاعم الشيعة بأنهم دعاة للأخوة والوحدة الإسلامية.

٢- أما الجهود العملية لأهل السنة في مواجهة التشيع فقد تنوعت أيضا، حيث تفاعل الكثير من المؤسسات مع هذا الخطر الزاحف، وتصدّت له، فالجمعية المحمدية التي تأسست سنة ١٩١٢ وتعدّ من أكبر الجمعيات هناك، نشرت مجلتها الرسمية (تبليغ) بيانا حول موقفها الرافض للأفكار الشيعية

سنة ١٤٣٣هـ، ونشرت بعده عدة مقالات تندّد بالغزو الشيعي لأندونيسيا، برغم أن الرئيس العام الحالي للجمعية د. محمد سراج متعاطف مع الشيعة أو متشيع سرا!!

أما جمعية نهضة العلماء التي تأسست في ١٩٢٦ فقد كتب رئيسها الأول الحاج محمد هاشم الأشعري مهاجما الرافضة في كتابه «رسالة أهل السنة والجماعة في حديث الموتى وأشراط الساعة وبيان مفهوم أهل السنة والجماعة»، وقد شاركت الجماعة بندوة مسجد الاستقلال سنة ١٩٩٧ وشجّعت على طباعة الكتب التي تحذر من الشيعة، وكتب عدة علماء من الجماعة مقالات وكتبا تنكر عقائد التشيع، والرئيس الحالي للجماعة سعيد عقل سراج يبدو أنه تأثر بالدعاية الشيعية وأصبح يهوّن من الخلاف أو يدعو لهم بشكل غير صريح، لكن تصدى له عدد من علماء الجماعة وردّوا عليه!

أما المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية فقد عقد العديد من المحاضرات والدورات لأعضائه وللعامة لبيان بطلان التشيع وعقائده وينشط في نشر كتاب مجلس العلماء عن الشيعة.

وهناك جمعية الهداية التي تجابه الشيعة من خلال مجلتها «صوت هداية الله» وموقعها الالكتروني.

وهناك أيضا تواصل بين العلماء والدعاة والجهات المسؤولة في الدولة لتوضيح الحقيقة لهم وتنسيق الجهود في التصدي لهذا الغزو الإيراني الشيعي الناعم.

أما على صعيد الكتب والمطبوعات فهناك العديد من المطابع ودور النشر التي تساهم في نشر الكتب ضد التشيع ولكن لا يزال يلزم المزيد من الجهود على هذا الصعيد، من ناحية عدد النسخ ومن ناحية تعدد المواضيع لمقاومة التشيع، وهناك العديد من المقالات في الصحف والمجلات والتي تعنى بهذه القضية.

وعقد الكثير من الندوات والدورات والدروس والمحاضرات لهذا الغرض، لكن حين تتحدث عن بلد تعداد سكانه ٢٣٧ مليونا، ويعد رابع دولة في العالم من حيث عدد السكان ندرك كم نحتاج للمزيد من هذه الندوات والدورات. وأيضا هناك عشرات المواقع الإلكترونية التي تهتم بهذا الموضوع ولها نشاط جيد.

ويختم المؤلف كتابه بأهم النتائج ومن ثم بعض التوصيات والتي منها ضرورة التعاون والتكامل بين مؤسسات أهل السنة للتصدي لمخططات الشيعة، وضرورة نشر الوعي بين الساسة ورجالات الأمن بالخطر الشيعي السياسي والأمني، وضرورة سد الثغرات التي ينفذ من خلالها الشيعة لمواقع القرار، خاصة في وزارة الشؤون الدينية، وأهمية وقف استغلال الشيعة للصوفية لنشر عقائدهم.

وفي النهاية؛ لقد بذل الباحث جهدا طيبا في جمع المعلومات وتبويبها وتقديمها بطريقة سهلة للقارئ برغم ضخامة موضوع الدراسة جغرافيا وزمانيا، وإن كان من ملاحظة فهي خلو الكتاب من الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية والتاريخية والسياسية، فموضوع الدراسة له تعلق مباشر بهذه العلوم التي لو ربطت بعلوم الشريعة لخرجت بحقائق وتفسيرات وتوصيات أعمق وأجود، وهذه دعوة لتطوير مناهج البحث في كليات وأقسام الشريعة والثقافة الإسلامية.

الحقيقة المرة!

قالوا: حاربت القاعدة المقاومة العراقية تحت ذريعة الصحوات، ثم اختفت القاعدة وحكم الروافض، ونفس الأمر يتكرر في سوريا. هنيئا للروافض بهكذا قاعدة.

أبو علي عبد الوهاب –

تغريدة على تويتر

هكذا يتمدّدون!

قالوا: يهودي من أصول إفريقية يعيش في القدس المحتلة ينوي الترشح لانتخابات رئاسة الكونغو. هو إلياهو بنحاس سدي، ولد في الكونغو، وفي عمر ٨ سنوات انتقل مع والديه إلى فرنسا، وفي سن ٢٠ عاما اكتشف الديانة اليهودية وقرّر الانضمام إليها.

وخلال سنة تعلّم أسرار الديانة اليهودية وتعرف إلى التوراة، ثم اجتاز اختبارا نهائيا وأصبح يهوديا. وصل بنحاس إلى إسرائيل، تزوج وسكن في الحيّ اليهودي في القدس.

في سن المراهقة، دخل بنحاس المعترك السياسي العالميّ، وقرر الترشح للرئاسة من قبل «الحزب الاشتراكي» ويصل عدد أعضاء حزبه إلى ٢٠ عضوا، حيث هناك نحو ٤٠٠ حزب في الكونغو.

موقع عربي ٢١ بتصرف

في منتصف الجبهة

قالوا: مجلة الطب النفسي الأمريكية: الملحدون هم الأكثر انتحارا.

تعليق: قد يكون الأمر انتخابا طبيعيا!

تنوير الملحدين–

تغريدة على تويتر

أكبر داعم لليهود دوما

قالوا: روسيا زعيمة الممانعة والمقاومة حليفة ايران وبشار الأسد وحسن نصر الله أول دولة في العالم تعترف بالقدس الغربية عاصمة لإسرائيل. ونِعم الممانعة

فيصل القاسم–

تغريدة على تويتر

تناقض!

قالوا: الإعلام اليساري والإيراني يعادي أردوغان الذي يستفتي شعبه ويصفه بالديكتاتورية، نفس الإعلام يطالب بالتعايش مع بشار والحوثيين والحشد!!

أسامة شحادة -

تغريدة على تويتر

فطرة الله عز وجل

قالوا: أوقفتني سياسة التعليم المختلط في اليابان حيث تم الإجماع على رفضه بقول الخبراء إنه يؤنّث الذكور ويذكّر الإناث، أين نحن دعاة الفجور من بني يعرب.

د. فاطمة الوحش–

تغريدة على تويتر

شباب الآسيان ومشروع إيران

د. محمد السعيدي – الوطن السعودية ٢٠١٧/٤/١٠

إيران ليست وحدها ؛ هذا رأي مستقر لدي منذ زمن ليس بالقصير ؛ كما أنها لا تعمل لمصلحة نفسها ولا شعبها ؛ هذه أيضا حقيقة يُصدِّقُها الوضع الراهن في إيران ؛ إن من وراء إيران وهو المحرك لها في كل نشاطاتها الدولية ؛ وهو كذلك من تعمل إيران لمصلحته ، إنما هو الصهيونية العالمية والتي تسعى للانفراد بهيمنة خاصة على العالم الإسلامي ؛ وهي هيمنة لن تستطيع الصهيونية بوجهها السافر الوصول إليها بين مليار ونصف من المسلمين ؛ لكنها حين تلبس قناعاً صفوياً يُردد شعارات إسلامية ويستغل في دعايته هموم المسلمين وما يحل بهم من نكبات . وما يعانونه من أمراض الجهل والفقر ؛ ستكون فرصتها بالنفاذ إلى أعماقهم أكبر بكثير .

لذلك نجد المشروع الصهيوصفوي حاضراً في كل بلاد المسلمين في آسيا وإفريقيا وأوربا ، بل في بلاد الأقليات الإسلامية، كروسيا وأمريكا الجنوبية ؛ بطاقةٍ حيويةٍ ومالية أكبر بكثير مما تستطيعه إيران وحدها.

أكتب هذه الكلمات وأنا في شرق آسيا أشاهد بأم عيني وأسمع بالسند المتصل نشاطات الأذرعة الإيرانية في إندونيسيا وكمبوديا وتايلاند والفلبين ولاوس وسنغافورة؛ بشكل دؤوب صبور لا كلل فيه ولا ملل ؛ لدرجة أنهم لم ييأسوا من النشاط ولو بأقنعة مزيفة في بلاد تم طردهم منها كماليزيا ، وبروناي ، وجزر المالديف.

لكن الجديد في الأمر والذي أجزم أن القارئ الكريم سوف يُسَرُّ به هو تلك اليقظة العلمائية والشعبية الظاهرة في مناهضة الكثيرين من علماء ودعاة ومثقفي دول مجموعة الأسيان لهذا المشروع ، والمتمثلة في عقدهم مؤتمراً في مدينة بوجور في أندونيسيا للإعراب عن توجههم ونظرتهم لهذا المشروع ؛ وهو مؤتمر حاشد حضره أكثر من مائتين من قادة الجمعيات والمؤسسات والمدارس الدينية في أندونيسيا وفي سائر دول الآسيان .

وقد حضرت هذا المؤتمر وأسعدتني نتائجه كثيراً ؛ كما أسعدتني مخرجات ورش العمل المصاحبة له ؛ والتي يُمكن القول بأنها قواعد مهمة أتمنى أن تظهر في تلك البلاد على شكل مشاريع عملية تقف في وجه هذا المشروع الذي ولاشك لا يريد بالأمة إلا شرا.

وسوف أورد فيما يلي شيئاً مما أنتجته أوراق العمل والجلسات المتخصصة :

«المنهج الوسطي هو الإسلام الحق الذي يلزم المسلمين اتباعه وعدم الحيدة عنه كما

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ولا وسطية إلا باتباع النبي ﷺ ونهج صحابته الكرام ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]».

«ويحرم أن يصل الاختلاف بين الأمة إلى حد الشقاق والتباغض والتنازع المفضي إلى الفشل ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] ماداموا يؤمنون بأركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان ومرجعية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويعظمون آله وصحابته وأزواجه وكلهم ورد الكتاب والسنة بتزكيتهم والثناء عليهم واختارهم لصحبة رسوله ونصرته ونَشَرَ الله بهم الإسلام في الإفاق وحفظ بهم الدين والعلم».

«الحذر من مناهج الغلو ومنها الغِل على صحابة رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات المفضي إلى تكذيب القرآن الذي نصت أياته على تحريم ذلك ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]».

«وجوب التصدي لما يقوم به النظام الإيراني من العمل على نشر عقيدة البغضاء والكراهية لصحابة رسول الله وأزواجه والطعن في القرآن وزعم العصمة لغير الأنبياء من آله الطيبين ليس من الإسلام في شيئ»

«يوصي المجتمعون الدول والشعوب الإسلامية بالحذر من تغلغل الدعوة إلى مذاهب الغلو والتطرف والتكفير سواء أكان إرهاب تنظيم كداعش والقاعدة وما يسمى بحزب الله والميليشيات الطائفية ؛ أم إرهاب دولة كالنظام الإيراني».

«إن دعاة الطائفية والعاملين على نشر المنهج الصفوي يتبعون من أجل النفوذ في البلدان المستهدفة طُرقًا ميكافيلية كالرشوة وشراء الولاءات والكذب واستئجار العصابات الإجرامية وتهريب المخدرات والسلاح بل وصناعة جماعات إرهابية لإحداث انقسام في المجتمع وتشويه المجتمع السني وضربه بتهمة الإرهاب».

«كما يعمد هؤلاء أيضا إلى العمل ومحاولة النفوذ والسيطرة من خلال مؤسسات المجتمع المدني والعمل الخيري والحركات الطلابية والبرلمانيين من أجل نشر فكرهم المتطرف بين الشباب ، كما يسعون لاستغلال الفقر في الكثير من المجتمعات للإغراء بالمال لنشر أفكارهم المتطرفة بين فئات الفقراء».

«كما يسعون لاستثمار الجهل بالعقيدة والدين لإقناع الفئات المستهدفة بأن ما يدعون إليه هو الإسلام؛ ويعملون على تشويه التاريخ الإسلامي لاسيما عصر الصحابة والقرون المفضلة وعزل الشباب عن أمجاد أمتهم بل وزرع الكراهية للشخصيات العظيمة في تاريخ الأمة من خلال تصويرهم أعداء لآل البيت ومغتصبون لحقوقهم ولم يتركوا شخصية واحدة لها أثر في التاريخ الإسلامي إلا وطالها تشويههم بدءًا بالصحابة وحتى مطلع العصر الحديث».

«دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تأت بجديد ولا بما يخالف مذاهب الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وليست محاربة الطائفيين لهذه الدعوة ومحاولة تشويهها إلا للتفريق بين أهل السنة وضرب كل من يقف في طريق تآمرهم بتهمة الإرهاب والتطرف والوهابية بزعمهم».

«لكل ذلك ينبغي تحصين المجتمعات المسلمة في الدول الإسلامية من خطورة المشروع الإيراني العقدية والأمنية والسياسية وإدراج خطورته ضمن المناهج الدراسية في التعليم العام والجامعات».

«على علماء المسلمين والفاعلين في النشاط الدعوي وقادة الجمعيات والمنظمات الشرعية والخيرية في البلاد الإسلامية ودول الآسيان بشكل خاص التواصل مع رجال الإعلام والبرلمانيين والساسة والاقتصاديين من أجل بيان خطورة المشروع الإيراني».

«الحيلولة بين أذرعة النظام الإيراني في دول الآسيان وبين النجاح في تكوين أقليات ذات ولاء صفوي عقدياً كان أم سياسياً ، والحيلولة بين الأقليات الصفوية التي نجحت الأذرعة الإيرانية في إيجادها وبين نجاحها في الوصول إلى التأثير على القرار في البلاد بشتى الوسائل القانونية والسلمية التي تقررها الكفاءات الفاعلة في العمل الإسلامي».

«العمل على التواصل بين جميع فئات أهل السنة داخل أندونيسيا ودول الآسيان وجمع كلمتهم وتوحيد رؤيتهم وأهدافهم وتفويت أي فرصة على من يريد استغلال اختلافاتهم لتمزيقهم أو رميهم بالإرهاب والداعشية».

«العمل العلمي البحثي والإعلامي على نشر الصورة الصحيحة للتاريخ الإسلامي وتاريخ الصحابة وآل البيت بشكل أخص ورد ما يفتريه دعاة التشيع من أباطيل حول التاريخ الإسلامي».

«التآكيد على أن تاريخ أهل السنة والجماعة هو العمق التاريخي المنطقي لأبناء دول الآسيان وأنهم جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية الممتدة من عهد رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا».

«ربط الشعوب المسلمة في دول الآسيان بكتابها الخالد القرآن الكريم وذلك عبرنشر تلاواته المختلفه وتفسيره وترجمة معانيه فإن ارتباط الأمة بكتاب ربها أعظم حافظ لدينها بعد حفظ الله تعالى لها».

«العمل على ربط الناس بأهل العلم العاملين من أهل السنة والجماعة».

وهذه المعاني التي أوردها المشاركون، وصادق عليها جميع الحاضرين تستوجب منا التحية لهذا المؤتمر والمشاركين والحاضرين فيه. وليس غريباً أن يأتي المؤتمر وسطاً بين أعمال تاريخية تقوم بها المملكة العربية السعودية؛ أولها زيارة الملك سلمان حفظه الله لعدد من دول الآسيان أبرزها إندونيسيا؛ وسوف يتلوها زيارات لعدد من المسؤولين إلى هناك تحمل الخير لبلادنا وبلادهم وللإمة الإسلامية جمعاء.

الاستفتاء الشعبي ومسألة الانقسام

إسماعيل باشا- أخبار تركيا ٢٠١٧/٤/٢٤

تحدث كثير من الكتاب والمحللين عن انقسام الشعب التركي وخطورة تداعياته، في تعليقاتهم على نتائج الاستفتاء الشعبي الذي أجري في تركيا في السادس عشر من الشهر الجاري، لأن نتائج الاستفتاء على التعديلات الدستورية جاءت متقاربة، حيث لم تتجاوز نسبة الأصوات المؤيدة للتعديلات الدستورية ٥١,٤١ بالمائة فيما بلغت نسبة الأصوات الرافضة لها ٤٨,٥٩ بالمائة، وفقا للنتائج الرسمية التي أعلنتها اللجنة العليا للانتخابات.

تقارب النتائج في الانتخابات أو الاستفتاء الشعبي يحدث كثيرا في الأنظمة الديمقراطية، وسبق أن شاهد العالم أمثلته في دول مختلفة. ولعل أقرب مثال له الاستفتاء الشعبي الذي أجري في بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبي أو البقاء فيه، وكذلك انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة.

في بريطانيا، صوت ٥١,٨٩ بالمائة من الناخبين لصالح خروج بلادهم من الاتحاد الأوروبي، في مقابل تصويت ٤٨,١١ بالمائة منهم لصالح بقاء بريطانيا في الاتحاد. وأعلن الجميع، بمن فيهم الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما والمسؤولون الأوروبيون، احترامهم لقرار الشعب البريطاني. ومهما كانت النتيجة صادمة لما يقارب نصف الشعب البريطاني الذي صوت لصالح البقاء في الاتحاد الأوروبي فإن بريطانيا تواصل طريقها نحو الخروج من الاتحاد بناء على تلك النتائج.

وأما في الولايات المتحدة، فكانت الأصوات الشعبية التي حصل عليها مرشح الحزب الجمهوري دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية أقل من الأصوات الشعبية التي حصلت عليها مرشحة الحزب الديمقراطي هيلاري كلينتون. وكان الفارق بينهما حوالي ٣ ملايين، إلا أن المرشح الجمهوري هو الذي انتخب رئيسا، لأنه حصل على ٣٠٦ من الأصوات الانتخابية، في مقابل حصول منافسته على ٢٣٢ صوتا انتخابيا. وبناء على النظام الانتخابي الأمريكي أصبح ترامب رئيسا للولايات المتحدة، على الرغم من أن عدد الناخبين الذين صوتوا له كان أقل من عدد الناخبين المصوتين لصالح كيلينتون.

الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما حصل في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في ٢٠٠٨ على ٥٢,٩ بالمائة من الأصوات الشعبية، في مقابل حصول منافسه الجمهوري جون ماكين على ٤٥,٧ بالمائة منها. وأما في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في ٢٠١٢ فحصل على ٥١,١ بالمائة من الأصوات الشعبية، فيما حصل منافسه الجمهوري ميت رومني على ٤٧,٢ بالمائة منها. ومع ذلك احترم الجميع قواعد اللعبة الديمقراطية وتلك النتائج، ولم يتحدث أحد عن خطورة انقسام الشعب الأمريكي وتداعياته.

وفي فرنسا، حصل مرشح الحزب الاشتراكي فرنسوا هولاند في الجولة الثانية للانتخابات الرئاسية التي أجريت في ٢٠١٢ على ٥١,٦٤ من أصوات الناخبين، فيما حصل فيها منافسه الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي على ٤٨,٣٦ بالمائة من الأصوات. وبناء على هذه النتائج، أصبح هولاند رئيسا للجمهورية الفرنسية. وعلى الرغم من تراجع شعبيته إلى حوالي ٣٠ بالمائة حكم هولاند فرنسا لمدة أربع سنوات حتى تنتهي ولايته. ومن المضحك أن الرئيس الفرنسي، على الرغم من فوزه في الانتخابات الرئاسية بفارق ضئيل، قال في تعليقه

على نتائج الاستفتاء الشعبي الذي أجري الأحد قبل الماضي في تركيا، إن النتائج تشير إلى انقسام الشعب التركي حول التعديلات الدستورية ودعا الطرفين إلى الحوار.

يمكن أن نأتي بأمثلة أخرى جاءت فيها النتائج في الاستفتاء الشعبي أو الانتخابات متقاربة، لأنها ظاهرة طبيعية في الأنظمة الديمقراطية. ولا نرى نتائج تفوق فيها نسبة الفائز ٩٠ بالمائة إلا في الأنظمة الشمولية الدكتاتورية، كما أن صورة التوحد والإجماع في تلك الأنظمة القمعية ليست حقيقية. بل يكون المجتمع منقسما بشكل عميق حول قضايا مختلفة، إلا أن عدم وجود حرية التعبير لا يسمح لهذا الانقسام بالظهور.

الأحزاب السياسية في الأنظمة البرلمانية تتنافس في الانتخابات النيابية، وتتوزع مقاعد البرلمان بين عدد من الأحزاب. وقد يصل عدد الأحزاب الممثلة في البرلمان إلى خمسة أو ستة أحزاب. وإن كان تقارب النتائج في الاستفتاء الشعبي أو الانتخابات الرئاسية انقساما فمن المفترض أن يتم وصف توزيع الأصوات ومقاعد البرلمان بين أكثر من حزبين بـ«تشتت الشعب». ولا يمكن القول بأن التشتت أفضل من الانقسام.

"داعش" والاستبداد... والتوحش

منار الرشواني – الغد ٢٠١٧/٤/١

قبل إحكام الطوق عليه بفترة طويلة، بدا واضحاً أن العالم أجمع لا يمكن أن يتعايش مع تنظيم «داعش» أو أن يقبل مجرد وجوده. وهو ما يبقى صحيحاً على الرغم من محاولة البعض تحييده مؤقتاً، على نحو ما فعلت روسيا مثلاً، والتي تدخلت حماية لنظام بشار الأسد، مستهدفة المعارضة السورية وحدها وليس التنظيم الإرهابي أبداً. وقد بقي ذلك قائماً إلى حين بدأ لغز الكر والفر في تدمر وحولها، بين «داعش» ومليشيات إيران والأسد؛ مع استمرار سياسة «تحييد» التنظيم قائمة حتى الآن خارج تدمر، بل وتسارع طائرات الأسد إلى استهداف المعارضة مباشرة في الأماكن التي نجحت في إخراج «داعش» منها.

على الرغم من ذلك، فإن التنظيم الذي أسس لفنائه مبكراً جداً بما ارتكبه من جرائم في المناطق الخاضعة لسيطرته منذ اليوم الأول لهذه السيطرة؛ لم يغير بأي درجة تقريباً وتيرة جرائمه بحق المدنيين رغم انحداره المتواصل الآن، وذلك بخلاف كل منطق يحتم بالحد الأدنى تقليل الأعداء أو تحييدهم، إن لم يكن كسب المؤيدين والحلفاء.

هـذا الـسر أو اللغـز المحـير يبـدو مطابقـاً تماماً لما تفعله أنظمة الاستبداد العربية، على الـرغم مـن «الربيـع العربـي» الـذي أثبـت أن الـشعوب لم تعـد تقبـل الـصمت الأبـدي علـى إهـدار حريتهـا وكرامتهـا، بـل وفـوق ذلـك حرمانهـا لقمـة عيـشها. إذ بـدل أن تبـادر هـذه الأنظمـة إلى أقـل الإصـلاحات، صـارت تتمـادى أكثـر في اللجـوء إلى أسـاليب القهـر والتنكيـل ذاتهـا الـتي كانـت قائمـة قبـل العـام ٢٠١١، انطلاقـاً مـن قناعـة بـأن خـروج النـاس إلى الـشارع ومطـالبتهم بـالحقوق الإنـسانية الأساسـية، همـا دليـل علـى عـدم كفايـة جرعـات الترهيـب الـسابقة، فـلا بـد بالتـالي مـن زيادتهـا. لكـن النتيجـة المحتمـة لـذلك هـي العـودة للانفجـار بطريقـة أكثـر عنفـاً وتـدميراً للجميـع، بمـا في ذلـك الأنظمـة. وخـير دليـل هنـا هـو الأسـد الـذي قـد يتبـاهى وشـبيحته؛ المحليـون والقوميـون العـابرون للحـدود، باسـتمراره في المنـصب، لكـنهم جميعـاً يـدركون أنـه وجـود بـلا أي تـأثير، باسـتثناء أنـه واجهـة يـبرر بهـا للغـزاة غـزوهم لـسورية وتقتيـل أهلـها وتشريدهم.

هـذا التلاقـي حـد التطـابق بـين الإرهـاب والاسـتبداد علـى مبدئيـة التـوحش، يمكـن تفـسيره في علاقـة التعـايش المؤكـدة بـين الطـرفين؛ بـل وحتـى وحـدة المنـشأ في حالـة «داعـش» خـصوصاً؛ فعلـى الأغلـب أن القـادة إمـا مـن كبـار الجلاديـن سـابقاً في أنظمـة مـستبدة، أو مـن ضـحايا هـذه الأنظمة ذاتها.

ومبدئيـة التـوحش أيـضاً هـي مـا يفـسر تناقـضاً آخـر يجمـع الـدواعش والمـستبدين الفاسـدين. فعلـى الـرغم مـن ادعائـه تمثيـل الـسُنّة والـسعي إلى حمـايتهم، كانـت الغالبيـة العظمـى مـن ضـحايا التنظـيم الإرهـابي هـي سُنّة العـراق وسـورية. وذلـك تمامـاً كمـا أن الأنظمـة ذاتهـا الـتي ادعـت التقدميـة والـسيادة الوطنيـة في مواجهـة الخـارج والإمبرياليـة، صـارت تـسلم الـبلاد الآن لكـل الغربـاء، وهـي مـستعدة علنـاً للـشراكة مـع صـهاينة غـربيين، فقـط لإبقـاء «الـزعيم الخالـد بؤسـاً»، علـى حساب الشعب!

في المقابـل، فـإن الأنظمـة الـتي وُصـفت يومـاً بالرجعيـة والخيانـة، لكنهـا أسـست شـرعيتها علـى الاسـتجابة لتطلعـات مواطنيهـا بـأي درجـة كانـت، ولـيس إرهـابهم، تبـدو اليـوم –كنتيجـة طبيعيـة- الأكثـر سـيادة واسـتقلالاً، وهـي بالتـالي الأكثـر استقراراً.

علمانية طائفية!

د. محمد جميح – مأرب برس ٢٠١٧/٤/١٢

أخونـا العزيـز، «المنظـر العلمـاني»، و«الكاتـب الليبرالـي»، حـسين الـوادعي يركـز علـى نقـد التـاريخ الإسـلامي مـن منطلقـات شـيعية لا علمانيـة. هـو ينتقـد هـذا التـاريخ لأنـه يـراه تاريخـاً «سـنياً»، لا لأنه مجرد تاريخ «ديني».

وفرق كبير بين طرح علماني ينتقد «تاريخاً دينياً»، وآخر شيعي ينتقد «تاريخاً سنياً».

سـبق الـوادعي إلى هـذا المـنهج «نـبي الحداثـة»، وأسـتاذنا الكـبير أدونـيس، الـذي رفـض الثـورة الـسورية لأنهـا «خرجـت مـن المـساجد»، في حـين أنـه مـدح الخمـيني وثورتـه الدينيـة، بقـصيدة عصماء.

ينظـر الـوادعي مـن زاويـة واحـدة في معظـم كتاباتـه، هـي زاويـة طائفيـة تحـاول جاهـدة أن تـذر بعـض المـساحيق الليبراليـة للإمعـان في التـسويق لا أكثر.

يريـد مـن العـرب والمـسلمين أن يعتـذروا عـن تـاريخ مـن «الرقيـق» الـذي مارسـوه، ولا يـشير إلى أن بيـوت الأئمـة في الـيمن كانـت تعـج بـأنواع السبايا والرقيق من رجال ونساء اليمن.

لو لم يكن الدافع الطائفي - لا العلماني - وراء تلك المطالبات «الإنسانوية»، لأخينا البالغ الحساسية تجاه «متاجرة العرب» بالرقيق، لكان الأولى به أن يطالب بالاعتذار عن استعباد اليمنيين في عهد دولة الإئمة القريب، بدلاً من المطالبة بالاعتذار عن أفعال الأمويين والعباسيين في سالف الزمان...

طبعاً من بين مئة نقد يوجهه المفكر العلماني الحداثوي للتاريخ الإسلامي الذي يعتبره «تاريخاً سنياً»، لا مانع من تقديم نقد واحد للحوثيين وإيران، دون أن يتجاوزهم إلى أصل المشكلة الدينية المذهبية التي أنتجت الأفكار الظلامية لدى جماعته...

مشكلة الوادعي إزاء التاريخ الإسلامي، ليست أن في هذا التاريخ فترات مظلمة، بل تكمن المعضلة أن الوادعي أساساً لا يراه تاريخاً له أو لجماعته، ولذا يهاجمه، على طريقة، «ما ليس لي، هو منجز غيري، وفي هدمه إبراز لمنجزي»...

سلام الله على الطائفية التي ترتدي ثوب العلمانية والليبرالية، وتطالبني بالاعتذار عن تاريخ هارون الرشيد، دون أن تلزمه هو بالاعتذار عن جريمة عبدالله بن حمزة، الذي سبى نساء اليمنيين المسلمين من الزيدية المطرفية، وأنجب من بعض «نساء السبي» بعض أولاده، ممن أصبحوا أئمة بعد ذلك...

قديماً قال زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ
وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

جبهة النصرة
بين المَغارم والمغانم

مجاهد ديرانية – الإسلاميون ٢٠١٧/٤/٢٤

قال محدّثي: لقد خسرت هيئة فتح الشام المناطق التي حررتها في حماة. قلت: وما الغريب؟ هل كنتَ تتوقع غير ذلك؟ ومن أين يأتيك التفاؤل وسجلّ جبهة النصرة مليء بالإخفاقات والمغامرات الفاشلة؟

قال: كيف تقول هذا عن أقوى وأهم فصيل في الثورة؟ قلت: أدرك نفسك يا صاحبي، لقد خدعوك كما خدعوا غيرك كثيرين. إنه أسلوب غوبلز المشهور: اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس! نعم، ما زالوا يروّجون هذا الوهم الكاذب (أكبر وأقوى فصيل في الثورة) حتى صدّقوا أنفسهم وصدقهم كثيرون. ولولا طائفة من «المستقلين» الذين ما فتئوا يلمّعون النصرة ولولا بعض الفضائيات التي تعمدت تصديرها في نشرات الأخبار لما فاقت سمعةُ النصرة سمعةَ أي فصيل ثوري من الفصائل الكبار، ولكنه الإعلام يا صاحبي، الإعلام!

قال: لماذا تخذّل وتقلّل من قيمة جبهة النصرة؟ قلت: ما هذا أردت، بل أردت أن يعلم الناس الحقيقة حتى لا يطالبوا الثورة باحتمال غُرْم النصرة مقابل غُنْمها المزعوم. أردت أن يعلموا أنها لا مغانمَ تأتينا منها تستحق كل هذا التطبيل والتهويل، وأن مغارمها تفوق مغانمها بكثير. وإلا فخبّرني: ما هو النصر العظيم الذي حققته النصرة في أي يوم قط؟ هذه خريطة سوريا أمامك، أرني المناطق التي حررتها جبهة النصرة بمفردها، ما هي؟ وأركز على كلمة «بمفردها» لأن النصرة كانت دائماً (وما تزال) عبقرية في

استغلال دماء وتضحيات الفصائل الأخرى ونسبة النصر إليها. ألا تتذكر معبر نصيب؟ إنها قصة تكررت في الثورة على الدوام.

نعم، إن تاريخ جبهة النصرة هو سلسلة من الإخفاقات والمغامرات الفاشلة، فهي التي سلّمت دير الزور لداعش وسلّمت القلمون الغربي للنظام وأهدرت دماء شبابنا في مغامرات حمقاء لم تثمر شيئاً، في مغامرتَي حماة الأولى والثانية وفي مغامرات حلب والساحل. آلاف الأرواح قُدِّمت مجاناً لأن مغامراً أحمق وضع نفسه في موضع القيادة وهو أقل الناس جدارة بها، ولأنه «الأحمق المطاع» فقد تبعه أولياؤه بلا سؤال ولا تفكير فقادهم إلى المهالك.

فكّر جيداً وسوف تكتشف هذه الحقيقة المؤلمة: إن المعارك الوحيدة التي انتصر فيها الجولاني هي غزواته على فصائل الجيش الحر، فقد نجح فيما فشل فيه النظام واستطاع تفكيك عشرين فصيلاً وتهجير آلاف المجاهدين خارج الحدود. يا له من إنجاز عسكري عظيم!

لو كان الأمر إليّ لحاكمت الجولاني محاكمة عسكرية بسبب هذه الخسائر والإخفاقات والمغامرات والاعتداءات، ولئن أنقذه شبيحته ومريدوه من سؤالنا في هذه الدنيا فمَن ينجّيه يوم القيامة من سؤال العزيز الجبار؟

الخلاصة: إن جبهة النصرة (باسمها القديم أو باسمها الجديد) فصيل من حجم ووزن سائر الفصائل الكبرى في سوريا، ليس أكثر، وإذا استثنينا قادتها الخونة (وعلى رأسهم الجولاني المجرم الذي أنهك الثورة وقاتل الفصائل واعتقل الأبرياء، عليه من الله ما يستحق) إذا استثنينا هؤلاء سنجد في صفوفها كثيراً من المجاهدين المخلصين الصادقين كما نجد في كل فصيل آخر.

بهذا المقياس فإننا نحتمل من النصرة ما نحتمله من سائر الفصائل من تقصير وأخطاء مقابل ما تقدمه للثورة من تَقْدِمات وتضحيات، لكننا لا نحتمل أبداً ما يصدر عن النصرة من بغي وظلم وإفساد ولا نحتمل غُرم ارتباطها الفكري والمنهجي بالقاعدة (وما كلمة «سفيه الأمة» الأخيرة إلا دليل على أن هذا الارتباط كان وما يزال). إن مطالبتنا بأن نحتمل ذلك كله من النصرة وهي لا تقدم للثورة أكثرَ مما يقدمه أي فصيل آخر في الميدان أمر لا يرضاه عاقل، ولا يمكن أن يقترحه شخص يريد الخير لسوريا والسوريين.

هذا ما كنت سأعمله
لو كنت صاحب قرار في الإخوان

عزام التميمي – عربي ٢١ ٢٠١٧/٣/١٣

كان حدث مشاركة جماعة الإخوان المسلمين في الأردن في انتخابات تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩ حدثا في غاية الأهمية. وكانت تلك الانتخابات فريدة من نوعها في تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية لأنها كانت تقريبا الانتخابات الوحيدة التي تتسم بالنزاهة والحرية، ولم يكن لها مثيل من قبل ولا من بعد.

أسفرت الانتخابات عن فوز ٢٢ من المرشحين الستة والعشرين الذين تقدمت بهم الجماعة، يضاف إليهم ما لا يقل عن عشرة نواب يحسبون بشكل أو بآخر على التيار الإسلامي العريض في البلاد.

اختار الإخوان زعيما لكتلتهم النيابية الدكتور عبد اللطيف عربيات، الذي لم أكن قد التقيته من قبل، ولم أعرف عنه الكثير، وبالتأكيد لم يكن يعرفني ولا يسمع بي.

وكان الفضل في وصلنا ببعض للأستاذ زياد أبو غنيمة رحمه الله، الذي كنت قد التقيته صدفة في لندن بعد حدث الانتخابات المشار إليه، فلما عاد إلى عمان وعلم برغبة الإخوان في إنشاء مكتب لكتلتهم النيابية، بادر إلى ترشيحي لدى الدكتور عبد اللطيف عربيات لأكون مديرا لذلك المكتب، لما توسم في من قدرات أهمها ما اجتمع لدي من خبرة في مجال الإعلام والعلاقات العامة، ومهارات الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، وبالعكس. اتصل بي د. عبد اللطيف وطلب مقابلتي، واتفقنا مباشرة، والتحقت به مديرا للمكتب الذي أسسناه وأثثناه معا.

قصة تجربتي في العمل مع الكتلة النيابية للإخوان المسلمين طويلة، وقد يتسنى سردها في فرصة أخرى، إلا أن ما يهمني هنا هو أن تطورات الأحداث والتفاعلات داخل الجماعة، اضطرتني بعد ما يقرب من عامين إلى الاستقالة، والسفر إلى لندن لاستكمال الدراسة العليا.

وجاء ذلك بعد أن تأسست جبهة العمل الإسلامي، التي كان من المفروض أن تكون الواجهة السياسية للإخوان، والحزب الذي يخوض معترك العمل السياسي نيابة عنهم.

لم يكتب لمشروع الجبهة أدنى درجات التوفيق، فقد تراجع الانفتاح السياسي في البلاد، وهمشت الديمقراطية، وتوجه النظام نحو ضبط الانتخابات من خلال تشريعات تحول دون حصول أي حزب سياسي على عدد من المقاعد يخل بالتوازنات التي أراد النظام الملكي الحفاظ عليها.

إلا أن هذه الأسباب القاهرة لم تكن الوحيدة التي أدت إلى فشل مشروع الجبهة، بل كانت الخلافات الداخلية عامل تقويض مهم، خاصة فيما يتعلق بالصلاحيات والمرجعيات، ورغبة البعض في إبقاء الجبهة خاضعة لصانع القرار في «المركز العام» للإخوان.

تركت كل ذلك، وانتقلت إلى بريطانيا، حيث عكفت على إعداد أطروحة في موضوع الإسلام والديمقراطية والعقبات التي تعترض التحول الديمقراطي في المنطقة العربية، مسلطا الضوء على تجربة حركة النهضة التونسية، وفكر راشد الغنوشي كحالة دراسية.

عدت بعد سنوات إلى الأردن، وذهبت لزيارة مكتب جبهة العمل الإسلامي، الذي انبثق عن مكتب نواب الحركة الإسلامية. كانت سمات التردي والتراجع بادية في كل شيء، ولا أدل عليها من أن الشخص الذي كان حينها مكلفا بإدارة المكتب - أي يشغل نفس الوظيفة التي كنت أول من شغلها- هو الشاب الذي أرسله إلى الإخوان عندما كنت مديرا لأكلفه بمهام إعداد وتقديم القهوة والشاي لمن يتردد علينا من النواب أو الضيوف.

لست أقل من قيمة الأخ، ولعله عند الله خير مني وأكرم، ولكن فرقا هائلا وبونا شاسعا يفصل بين مؤهلات من يطلب منه إدارة مكتب حزب سياسي ومؤهلات من يطلب منه تقديم الضيافة لرواد ذلك المكتب.

تذكرت هذه القصة وأنا أتأمل فيما آلت إليه أحوال مكتب الإخوان المسلمين في منطقة كريكلوود في لندن، ذلك المكتب الذي كان في الأساس بمثابة مقر لأمانة عامة لما كان يعرف بالتنظيم الدولي، مهمته بالدرجة الأولى الترتيب لاجتماعات التنظيم، من حيث إجراءات سفر واستقبال المندوبين، وما يتعلق بأمور إقامتهم

وضيافتهم أثناء وجودهم في لندن أو حيث يعقد اللقاء.

لم يكن يصدر عن هذا المكتب إلا النزر القليل مما يمكن أن يهتم له أحد في وسائل الإعلام أو الوسط السياسي. وما صدرت عنه فيما بعد من نشرة مطبوعة ثم إلكترونية تعرف باسم «رسالة الإخوان» كانت جهدا متواضعا، لا يضر وإن كانت فائدته محدودة، ولعل بعضنا كان يعتبره اجتهادا أدبيا مشكورا، رغم ضعفه وعدم اكتراث كثير من الناس به، لمن يشكلون طاقم مكتب الخدمات هذا.

جاءت أحداث الربيع العربي، ثم الثورة المضادة، ثم الأزمة الحادة داخل جماعة الإخوان المسلمين، فإذا بمن كانت مهمته يوما ما ترتيب الضيافة وإجراءات السفر والاستقبال يتصدر المشهد، ويصدر القرارات الحاسمة الفاصلة، وينشر البيانات ويوجه الرسائل، وينطق باسم أكبر جماعة إسلامية إصلاحية عرفها التاريخ المعاصر، رغم أن أوجه القصور في قدراته ومؤهلاته لا يتسع المجال هنا لسردها.

ولعل هذا ما ساهم مساهمة فاعلة في تعميق الصدع داخل الجماعة، وفي إطلاق العنان للشامتين والمتربصين بالإخوان، بل وشجع أعدادا من المحبطين واليائسين على اللجوء إلى معاول الهدم ليأتوا بها على ما تبقى من احترام وقيمة وتقدير لهذه الحركة المنتشرة حول العالم.

ولقد كانت الرسالة التي وجهت إلى مؤتمر القمة العربية في عمان وما تلاها من تصريحات وبيانات ركيكة ومتهافتة ومنبطحة ومناقضة لفكر الجماعة ومنهجها القشة التي قصمت ظهر البعير، وكشفت عورة مكتب كريكلوود ومحدودية قدرات وتواضع مؤهلات القائمين عليه.

لقد قامت جماعة الإخوان المسلمين على فكرة، وما من شك في أن الفكرة نبيلة وجميلة وطموحة، وهي أن نهضة أمتنا وصلاح حالها لا يكون إلا بالإسلام، وأن إصلاح أحوالنا يبدأ بالفرد فالأسرة فالمجتمع فالدولة، وأن عملية الإصلاح داخل مجتمعاتنا لا تتم إلا بنهج سلمي طويل النفس وطويل المدى، ينتهي بإرادة الله إلى إعادة الاعتبار لشرع الله تعالى وللحكم الشوري الذي أسست له الخلافة الراشدة.

إلا أن الفكرة اليوم لا تجد من يخدمها كما ينبغي بسبب ما تعرضت له الجماعة من ضربات قاصمة متتالية، وما آلت إليه أوضاعها من أحوال من التشظي والتشاحن والتدابر والتنافس بين أبناء الجماعة الواحدة. والأمر يتطلب إلى علاج سريع، وإلى جرأة وإقدام.

لو كنت صاحب قرار في جماعة الإخوان المسلمين لأمرت بادئ ذي بدء بما يلي:

١- إغلاق مكتب كريكلوود في لندن، وإعفاء جميع من فيه من أي مهام كلفوا بها من قبل، أو نصبوا أنفسهم للقيام بها من بعد.

٢- إلغاء القرارات كافة التي صدرت عن أي جهة تدعي النطق باسم القيادة، ونجم عنها فصل أو تجميد أو غير ذلك من العقوبات بحق أي عضو من أعضاء الجماعة منذ الانقلاب العسكري الغاشم في مصر في تموز/ يوليو ٢٠١٣.

٣- حظر احتكار أي عمل أو نشاط أو مبادرة أو جهد يخدم الفكرة التي قامت من أجلها الجماعة، والإعلان بأن هذه الأعمال أو النشاطات أو المبادرات أو الجهود مرحب بها فرديا وجماعيا وفي كل الميادين والساحات، ومن يوفق تجني الجماعة ثمار نجاحه ومن يخفق فلن يضرها إخفاقه، ولكل مجتهد نصيب.

٤- الدعوة إلى البدء بإجراءات عملية لرأب الصدع ولم الشمل ورص الصفوف حتى تستعيد الجماعة عافيتها وتستأنف جهادها وتؤدي رسالتها.

التعاون الإسرائيلي الإيراني

بقيت ثورة الخميني تسير على نفس منهج الشاه بالتعاون مع إسرائيل، وكان الشاه يقول عن هذه العلاقة: "إن العلاقة بين إسرائيل وإيران تشبه تلك القائمة بين عاشقين يعيشان قصة حب غير شرعية".

أبو الحسن بني صدر، أول رئيس لجمهورية إيران بعد الثورة، سأل الخميني: هل سمحت باستيراد السلاح من إسرائيل؟ فقال: نعم، إن الإسلام يسمح بذلك، وإن الحرب هي الحرب!

أما "تريتا بارسي" صاحب كتاب "التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية" فيعتقد أنّ العلاقة بين المثلث الإسرائيلي-الإيراني- الأمريكي تقوم على المصالح والتنافس الإقليمي والجيو-استراتيجي وليس على الأيديولوجيا والخطابات والشعارات التعبوية الحماسية، ولذلك فإن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل.













أولاً : التعاون في مجال التسليح:

1 - لقد كانت إسرائيل المصدر الأول للسلاح لإيران في الفترة من 1980- 1985.

2 - بدأ هذا التعاون من خلال شركة صادق طبطبائي بالتعاون مع يوسف عازر المرتبط بأجهزة المخابرات والجيش الإسرائيلي، وقد زار طبطبائي إسرائيل في 6/12/1980، فبدأت شحنات السلاح الإسرائيلي تتدفق على ثورة الخميني.

3- أندريه فريدل وهو يهودي إسرائيلي، صدّر كميات ضخمة لإيران بإشراف وزارة الدفاع الإسرائيلية.

4 - العقيد يعقوب النمرودي، الملحق العسكري الإسرائيلي الأسبق بطهران زمن الشاه، فتح خط تسليح لإيران من إسرائيل.

5 - في 18/7/1981 أسقطت طائرة أرجنتينية بروسيا كانت تنتقل بين إيران وإسرائيل، محمّلة بأنواع السلاح وقطع الغيار، بما قيمته 150 مليون دولار.

6 - في سنة 1984 تم عقد صفقة أسلحه إسرائيلية إلى إيران قيل إن قيمتها بلغت 4 مليارات دولار.

7 - نشرت صحيفة "هاآرتس" "تقريرا لوزارة الدفاع يؤكد تزويد إيران بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بـ 58.000 قناع مضاد للغازات السامة، كاشفات للغازات تستعمل لغرض الكشف عن عوامل الأسلحة الكيماوية، ونصب أنظمة السيطرة على الحرائق في الدبابات.

8 - نشرت صحيفة "هاآرتس" أيضاً مقالاً عن محاكمة دانبار السرية تضمن ما يلي: بين 1990 إلى 1994 باع لإيران 150 طنًا من مادة كلوريد التايونيل، التي تدخل في صناعة غاز الخردل، ووقع عقدًا لبناء مصنع قادر على إنتاج العديد من الأسلحة الكيماوية، إضافة لمصنع ينتج أغلفة القنابل التي تستعمل لتلك الأسلحة، وباع الإيرانيين 22 عربة مزوّدة بمعدات خاصة بالحرب الكيمياوية، وأنه كان حلقة الوصل بين إيران وما يقارب من 100 شركة إسرائيلية.

9 - كذلك نشرت صحيفة "جيروسليم بوست" مقالا كشف أن شركة إسرائيلية باعت لإيران بين الأعوام 1980 - 1990 معدات بلغت قيمتها أكثر من 50 مليون دولار، وبموافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية.

ثانيا: التعاون في مجال النفط:

1- اشترت إيران من إسرائيل ما استولت عليه من سلاح الفلسطينيين في لبنان سنة 1982م بقيمة 100 مليون دولار دفعتها شحنات نفط لإسرائيل.

2 - في 12/2002 قام رجل أعمال إيراني مقرب من الرئيس خاتمي بزيارة سرية إلى إسرائيل لتجديد عمل أنبوب النفط إيلات- أشكلون الذي تعود ملكيته إلى الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية، وتم الاتفاق على نقل النفط الإيراني بحراً إلى ميناء إيلات ومنها إلى أشكلون عبر الأنبوب، حيث سيسوق من هناك الى الدول الأوروبية، لاختصار الوقت وتجنب عمولة قناة السويس المصرية!

3 - في 1/2007 ظهر مشروع إسرائيلي لنقل الغاز الطبيعي من إيران إلى إسرائيل عبر تركيا، من خلال أنبوب بحري بطول 610 كيلو متر بين الشاطئ الجنوبي - الشرقي لتركيا وحيفا.

4 - كشفت "نشرة أخبار الطاقة الإسرائيلية" أنّ إسرائيل تستورد النفط الإيراني عبر أوروبا منذ سنوات!!

ثالثاً : تعاون في مجالات متعددة:

1 - كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت أن ثلاثة مهندسين إسرائيليين شاركوا في ترميم بنى تحتية قريبة من المنشأة النووية في مدينة بوشهر الإيرانية تضررت من هزات أرضية.

وكان وزير البنى التحتية أرييل شارون في حكومة بنيامين نتنياهو بين السنوات 1996-1999 قد أمر بتسليم الإيرانيين قسما من مخططات البناء التي نفذتها إسرائيل في إيران أيام الشاه!

2 - ووفقا ليديعوت أحرونوت فإن نائب مدير عام وزارة الزراعة الإيرانية من منطقة بوشهر زار إسرائيل سرا لفحص إمكانية تجديد مخزون العتاد الزراعي من إسرائيل.

3 - أبرمت إيران صفقة كبيرة بواسطة شركة صينية مع شركة إسرائيلية تختص بأجهزة إنذار للسيارات الحكومية، ومن ضمنها سيارات الشرطة الإيرانية وسيارة أحمدي نجاد شخصيا!!!

4 - أكدت صحيفة معاريف أن إيران وإسرائيل تقيمان علاقات في مجال الأبحاث، حيث تقابَل مندوبون رسميون منهما في الأردن مع نظرائهم من الدول العربية لبحث إقامة "مُسارع للذرات" يستخدم في الأبحاث البيولوجية والكيميائية والفيزيائية والطبية.

5- وبحسب الإحصاءات الصادرة من مراكز يهودية فإن اليهود يتناقصون في تجمعاتهم المنتشرة في العالم أجمع إلا في إيران فإنهم يزدادون!!

* هذا ملخص بحث "التعاون الإسرائيلي الإيراني"، المنشور في الراصد العدد 71.

